النزعة الاستعلائية في الفكر الغربي

تاريخ تسلم البحث: 2008/10/12م تاريخ قبوله للنشر: 2009/1/8م

*محمد عوض هزايمة**

ملخص

يستهدف هذا البحث الوقوف على واقع النزعة الاستعلائية في الفكر الغربي، حيث إن مشكلة البحث تكمن في رفض الغرب قبول الآخر واعتباره يمثل مستوى أدنى من الغربي في سلم الحضارة الإنسانية، في حين كان السؤال الأكثر إلحاحاً والذي يتطلب ألإجابة عليه لتذليل مشكلة الدراسة، هو لماذا هذا الرفض وما آثاره؟، ولكي تتم الإجابة على ذلك، لا بد من منهج علمي يتناول جوانب تلك المشكلة للوصول إلى تذليلها، وقد استخدمنا لذلك المنهج التاريخي والوصفي والمقارن وهي مناهج مستخدمة في أساليب البحث العلمي.

لقد أوصلتنا الدراسة إلى إجابات للأسئلة المطروحة، وعدة استنتاجات أهمها: إن النزعة الاستعلائية متأصلة في الفكر الغربي، وتنزع إلى رفض الآخر، ورفض أية حضارة منافسة لحضارته، وان منابع تلك النزعة في الفكر الغربي لم تجف بعد، وهناك أسباب عدة تؤجج وهج النزعة كلما خبت، كما أن هناك عدة تحديات افرزها الفكر الغربي لحضارتنا العربية الإسلامية وثقافتنا المستمدة من الكتاب والسنة، منها: تحديات سياسية تسعى إلى تفكيك النظام الإقليمي العربي والذهاب به عن الساحة العالمية، كما أن هناك تحديات قومية رامية إلى تمزيق الهوية العربية، وأخرى اجتماعية ترمي إلى تفتيت المجتمعات العربية، وإن الغرب يتلون في معاملته مع الآخر وفق مقتضيات تفرضها طبيعة المرحلة، وما هو مستخلص من التجارب التي عايشها الغرب مع العالم العربي.

أضف إلى ذلك أن هناك عدة توصيات استوجبتها الاستنتاجات تلك، أهمها ضرورة صياغة قواعد فكرية عربية وإسلامية مستوحاة من العقيدة الإسلامية لمواجهة تلك التحديات، وتصحيح الذات العربية والإسلامية لأن من يستخدم الصورة المشوهة يستند أيضاً إلى تشويهات قائمة في الأصل نفسه ويحتج بها.

* أستاذ مشارك، قسم العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا.

Abstract

This research aims at focusing on the nature of the western intellect superiority trends. The problem of this research lies in the westerns refusal of others who are considered to them in the matter of human civilization. The most urgent questions which require scientific answers to surmount the problem of the study are "Why is this refusal?. And what are the effects?" To answer the questions; there must be a scientific approach which deals with its issues. We have used the historic, the descriptive and comparative approaches in an empirical manner to solve the faced conflicts.

The study has given access to the answers of the questions raised, and we have reached a number of results: Superiority trend is deeply- rooted in the western intellect and it leans towards the refusal of others; and the refusal of any civilization competitive to its civilization. The springs of that western intellect trend are still not dried up and there are a number of reasons which stir the flames of the trend as soon as it hides. There are a number of challenges which are secreted by the western intellect our Islamic Arab against civilization and our culture which are derived from the Qura'n and Sunna, such as, the political challenges endeavor to disunite the Arab regional system and to abandon its attendance in the international forum. Besides, there are national challenges that aim at shredding the Arab identity and other social challenges to disunite Arab societies. The westerns claim that their dealing with Arabs is according to the requirements imposed by the nature of the phase and throughout the essence of their experience with the Arab World.

In addition, there are a number of recommendations drawn from those conclusions, such as, the necessity for composing Arab and Islamic intellectual rules stemming from the Islamic belief to encounter those challenges, and to polish the Arab-Islamic identity because he who uses the corrupted picture depends also on distortions available in the origin itself.

المقدمة:

صرح رئيس الوزراء البريطاني برلسكوني بأن الحضارة الغربية هي أفضل من كل الحضارات، وأكد على أنّ الحضارة الإسلامية ليس لها نصيب في خلق القيم العليا المنتشرة اليوم في العالم، وردد البعض من رجالات

الأدب والسياسة ووسائل الإعلام في الغرب مقولات مماثله، ففي الثقافة الشعبية الأوروبية صوروا العرب صناع هذه الحضارة من خلال الملاحم الشعبية مثل: "ملحمة رولاند": (بأنهم الجنس الحيواني الحقير... والكلاب والخنازير)[1]، حتى ذهب البعض إلى أساليب غير متحضرة رافقها مظاهر السباب والشتم التي ألحقوها بالرسول الكريم محمد ﷺ الذي جاء مبشراً بالإسلام، والذي يعتبر الأساس السليم الذي قامت عليه الحضارة العربية الإسلامية، لذا باتت نظرة الغرب لهذه الحضارة اليوم نظرة دونية، تجلت مظاهرها في تصريحات ورسومات وتعليقات لا تليق برجال السياسة في الغرب الذي يدعي التحضر من أمثال ساسته برلسكوني[2]، وأصحاب الفن الرفيع في بلاده من رسامين للكاريكاتير على صفحات الجرائد والمجالات هناك، ولم يكن ذلك إلا نتاج ثقافة الكراهية للإسلام، لأته النموذج الذي يحرر الشرق من كل تبعية، والطاقة المقاومة لكل محاولات هيمنة الغرب وغطرسته على الشرق عامة والعرب والمسلمين خاصة.

إن الخطر الأكبر لا يكمن في تمجيد الحضارة الغربية، وإنما في طريقة التمجيد، فهم يقارنون حضارتهم دائماً بما رسموه من صورة سيئة في أذهانهم عن الأمم الأخرى بعامة والعرب المسلمين اليوم بخاصة، وكان الشكل الوحيد الممكن للتحضر هو الموجود في الحضارة الغربية، إن كل ما صدر من تصريحات بحق الحضارة العربية لم يكن مجرد زلة لسان، أو خطأ عارضا في التعبير من هذا السؤل أو ذاك الرسام، وإنما هو صورة كاشفه لفلسفه عميقة الجذور في الثقافة الغربية قائمة على العنصرية البغيضة لكل ما هو غير غربي.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من كون ما يميز الفكر الغربي عن غيره بأنه لا يعترف بالآخر، ويقصر اهتمامه على الإنسان الغربي ويهمل غيره من بني البشر، وهم في نظر ذلك الفكر ادني من مستواه، ويحصر هذا الفكر، الحضارة والمدنية في أعلى درجاتها بالغرب، ويقدمها كنموذج لغيره في كل مجالات الحياة، من أفكار وعادات وأسلوب حياة، ولا ينظر الغربي للحضارات الأخرى إلا وفق معاييره الخاصة التي يرى بها، أنها حضارات بدائيه لا ترتقي ومستوى الحضارة التي بناها الغربي وأشادها، كما أن أهمية البحث تنبع من كون الغربي يقف بالمرصاد في طريق كل حضارة تأخذ خطوات لها على طريقة التقدم والازدهار، فيوجه لها كيلاً من الانتقادات، ويعمل في هذا التوجه

على توجيه التهم غير اللائقة للقائمين عليها والعاملين على دفعها قدماً للأمام، من هنا كانت أهمية البحث والتي شكلت ومسوغات دوافع للقيام بهذه الدراسة.

فرضية الدراسة:

تستند هذه الدراسة إلى فرضية قوامها: إن الغرب لا يكف عن التدخل في شؤون الآخر، لكونه يسعى دائما وابدأ إلى الهيمنة والسيطرة عليه، وذلك بسبب النزعة للاستعلائية المتأصلة في كل جوانب ذلك الفكر، فهذه جعلته لا يرضى بالندية للآخر بل بالدونية ليس أكثر.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. التعريف بالنزعة الاستعلائية المتأصلة في الفكر الغربي.
2. بيان العوامل التي أدت إلى تعزيز النزعة الاستعلائية لدى الغربيين.
3. بيان أسباب تأجيج النزعة الاستعلائية كلما خبت في نفوس أهلها.
4. توضيح الآثار الذي ترتبت على هذه النزعة من حيث معاملة الغرب للعالم العربي.
5. إبرازاً ما يجب عمله للوقاية من شرور وتأثيرات هذه النزعة.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تكمن مشكلة الدراسة في مدى رفض الغرب قبول الآخر، على اعتباره يمثل مستوى ادني من مستواه في سلم الحضارة الإنسانية، ورفضه أيضاً أن تقوم حضارة أخرى منافسه لحضارته، وهذه المشكلة اقتضت منا عدداً من الأسئلة تستوجب الإجابة عليها وهي:

1. ما النزعة الاستعلائية وأين مكانتها في الفكر الغربي؟
2. ما العوامل التي تديم هذه النزعة في الفكر الغربي؟
3. ما الأسباب التي تؤجج النزعة الاستعلائية في نفوس أهلها؟
4. ما الآثار المترتبة على هذه النزعة على العرب والمسلمين؟
5. كيف تتم الوقاية من آثار هذه النزعة؟

الإطار النظري والدراسات السابقة:

أولاً: الإطار النظري للدراسة: لا يشك عاقل أو منصف في أن الحضارة الغربية بجميع أبعادها الاقتصادية والثقافية وبعض جوانبها الاجتماعية قد أسهمت في تقدم ورفاهية الإنسان والحياة وإن لها آثار ايجابية، وهذا بلا ريب ما نلمسه يومياً في أنفسنا ومجتمعاتنا، لقد استطاعت هذه الحضارة أن تمنح وتعطي الإنسان من القدرات والإمكانات ما لم يحلم به من قبل، وهيئات ويسرت له الوسائل التي جعلته في أعلى درجات الرقي، وفي إعتقادنا

أنها حضارة بنت كل ما حول الإنسان ونسيت بناء الإنسان نفسه، وبالتالي فهي حضارة المادة والمادة فقط، إنها حضارة الوسائل والآلات لا حضارة المبادئ والغايات، رغم كل هذا فهذه الحضارة لا تلبي رغبات الإنسان الدفينة في نفسه، تلك الرغبات التي تتجلى في حضارة أخرى خلاف حضارة الغرب المادية، حضارة تعيد للإنسان حلاوة الإيمان بالله ورسالات الرسل الكرام، وتعيده إلى القيم والمعاني السامية التي بدونها تتلاشى الفوارق بين الإنسان والحيوان، إن تلك الحضارة التي يبحث عنها الإنسان، هي حضارة تحمل نغمات الوحي الإلهي، تلك التي تمنح الإنسان الإيمان، ولا تسلبه العقل، تعطيه الدين ولا تفقده العلم، تعطيه الروح ولا تحرمه المادة، تعطيه الآخرة ولا تحرمه من الدنيا، تعطيه الأخلاق ولا تسلبه الحرية، هذا العطاء كله بلا إفراط أو تفريط[3].

إن هذه الحضارة التي يبحث عنها الإنسان والمفعمة بالإيمان، جاءت بعد أن جرب حياة حضارة المادة التي أهملت الإنسان واهتمت بما حوله، والتي هي بلا شك حضارة الإسلام ذلك المفقود من حياة أكثر البشر، لكون الإسلام وما يملك من مكونات البقاء، وما فيه من خصائص تشبع الروح والعاطفة، هي قادرة على بناء مثل هذه الحضارة، لقد نظر الغرب بكل ملية إلى حضارته، وإذ بها أخذت تسير رويداً رويداً نحو الغروب، ونظر إلى حضارة الإسلام وإذ بها تشع بالبهاء والنور وتشرق من جديد في دنيا البشر، عندها قام الغرب بإجراءات للحفاظ على حضارته وموروثاته الحضارية وذلك بالأخذ بكل ما يمكن حضارته من البقاء، وما يؤدي إلى تهميش الحضارة العربية الإسلامية، أو على الأقل يؤخر تقدمها، فأخذ يتعامل مع أهل الحضارة العربية، بأسلوب غير حضاري تؤججه كل معاني الحقد والكراهية، وقوامه تهميش الآخر إلى الحد الذي يؤدي إلى إهماله وعدم الاعتراف به[4]. ومن دلائل ذلك الحملة الفرنسية عام 1212هـ/1798م، حيث جهز نابليون حملته البحرية على مصر أسوة بأسلافه الصليبيين الذين كان أخرهم "لويس التاسع"، والحملة الانجليزية عام 1222هـ/ 1807م على مصر أيضا، فاستولوا على الإسكندرية، وتم احتلال الجزائر من قبل الفرنسيين عام 1246هـ/1830م، واحتلت عدن عام 1264هـ/1839م، والحقوا بها تونس عام 1297هـ/1881م، وقام الانجليز باحتلال مصر مجددا عام 1293هـ/1882م، وتقاسمت فرنسا واسبانيا والبلاد المغربية (مراكش) عام 1321هـ/1901م[5].

إن شهوة الاستعلاء والوقوف حجر عثرة أمام كل تقدم قد تحرزه الأمم، دفعت الغرب الأوروبي إلى اتخاذ خطوات محسوبة لتبقى حضارته في حالة ازدهار، وقطع سبل اندثارها، توجت هذه الخطوات المحسوبة بعقد مؤتمر لندن عام (1905-1907م) الذي دعا إليه السيد كامبل بنرمان -رئيس حزب الأحرار وزراء بريطانيا آنذاك- كل الدول ذات المصالح الاستعمارية في المنطقة العربية[6]، وهي يوم ذاك: بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وايطاليا واسبانيا، وقد وافقت هذه الدول على فكرة المؤتمر، وبعثت بكبار علمائها من مختلف التخصصات ومشاهيرها، في علم الاجتماع والجغرافيا والاقتصاد والتاريخ والنفط والزراعة والآداب والاستعمار[7]، وفي خطاب الافتتاح نبه بنرمان الداعي للمؤتمر إلى بدء فناء الحضارة الأوروبية، وطالب تقديم مقترحات لضمان استمرارها والحيلولة دون أفولها، مع ضرورة تلمس الوسائل الممكنة لإدامة ألزخم الاستعماري الأوروبي، للمناطق البكر من الناحية الاقتصادية في العالم وخصوصاً منطقة المشرق العربي، لما يحتويه من أسباب القوة من مواد أولية لازمة للصناعة الغربية[8]، وبعد إن عكف المؤتمرون على دراسة تاريخ الإمبراطوريات متتبعين ظروف نشأتها وتطورها وازدهارها وأسباب قوتها وضعفها وانحلالها، وجغرافية البلاد التي قامت عليها وسكانها ومواردها الطبيعية، وقد كانت المنطقة العربية بعالمها العربي هي موضع الدراسة والتحليل والاستنتاج، وجاء في توصيات لجنة المؤتمر بشأن المنطقة العربية والتي أرست قواعد التعامل الغربي تجاه المنطقة العربية للقرن المنصرم، وربما لهذا

القرن الذي نعيشه، والقرون القادمة ما يلي[9]:

- على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزئة المنطقة العربية الواقعة من المحيط إلى الخليج.
- إبقاء شعب هذه المنطقة على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل[10].
- إقامة حاجز بشري قوي وغريب[11]، يحتل الجسر الذي يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطها معاً بالبحر الأبيض المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للغرب وعدو لسكان المنطقة وبذلك يتم الفصل ما بين إفريقيا العربية واسيا العربية.

لقد وضعت هذه التوصيات موضع التنفيذ، فقامت ايطاليا باحتلال ليبيا عام 1334هـ/1914م، وجاءت فيما بعد اتفاقية سيكس- بيكو عام 1916م، وصدر وعد بلفور بعدها عام1337هـ/1917م[12]، نقطة البداية في تنفيذ هذه الإستراتيجية القائمة على التجزئة

والتفكيك للنظام الإقليمي العربي، وإمعانا في تنفيذ ما عقدت العزم عليه، سعت إلى إلغاء الخلافة الإسلامية وكان لها ما أرادت عام 1344هـ/1924م[13]، فانفردت بالمنطقة العربية، وانتهت هذه الإستراتيجية بإحلال القطرية في ربوع المنطقة العربية، فبلاد الشام مثلا لم تعرف الحدود بين أقسامها من قبل، أصبحت اليوم فيها دول أربع تميز هذه عن تلك حدود من صنيع الاستعمار الغربي، ورائدته يوم ذاك بريطانيا وفرنسا، وأصبح لكل منها علم وطني ونشيد وطني وحتى فريق كرة قدم وطني[14]، وكان من نتاج ذلك دول قطرية واهنة لا تستطيع الوفاء حتى بالحد الأدنى من رغبات شعوبها، فأصبح الأمر والنهي بيد الغرب الذي تاق إلى مثل هذه اللحظة. لم يكتف الغرب إلى هذا الحد بل اغتصب فلسطين من أهلها، وفقا لاتفاقية سايكس– بيكو، ووعد بلفور، وأقامت على أرضها دولة للغرباء عام 1948م، وشنت فرنسا وبريطانيا والكيان الصهيوني حربا على مصر –العدوان الثلاثي– عام 1956م، على خلفيات قرار تأميم قناة السويس، ثم انثنى الكيان الصهيوني وبمساعدة غربية مباشرة من احتلال كامل فلسطين عام 1967م، وقام الغرب بإخراج مصر من الصف العربي، وذلك باستخدام كافة المغريات السياسية وغير السياسية بعد توقيع اتفاقية كامب ديفد عام 1979م، واستغل الغرب الطامع إحداث الخليج الثانية عام 1990م، والتي جاءت في أعقاب دخول العراق الكويت، فركز كل قواه على الأرض هناك، والتي منها انطلق الغرب لاحتلال العراق عام 2003م، وبالتالي أصبح الوطن العربي إذا ما تم أخذه كأنموذج مسيطر ومهيمن عليه من كل الجوانب، وبهذا تحقق للغرب الاستعلاء إرضاء لنزعته الاستعلائية المتأصلة والمستحوذة على فكره.

ثانياً: الدراسات السابقة: هناك العديد من الدراسات التي تناولت مثل وأهمها:

– **دراسة (أمين هويدي 1981م)**[15] والموسومة بـ "صراع القوى الخارجية ضد مشروعنا" وقد استهدفت الدراسة التركيز على حالة العجز التي تلف العالم العربي الإسلامي، ذلك العجز الذي شجع الآخر على استهداف هذا العالم والعمل على السيطرة والهيمنة عليه، وها نحن نرى ما إن تنتهي حملة هيمنة حتى تبدأ أخرى، وقد استغل الغرب ديمغرافية الشرق، والمكون من جماعات عرقية ودينية يجمعها إطار إقليمي، لذا يهدف الغرب استغلال ما هو عليه من قوة لتغيير كينونة الشرق إلى شرق مختلف، قائم على أساس مبدأ الدولة، و الأمة تتحول إلى كنتونات طائفية وعرقية، يجمعها إطار إقليمي

(كونفدرالي)، وهذا سيسمح للكنتون الإسرائيلي أن يعيش في المنطقة، بل يكون قائداً لها، وهذا وإن تحقق فهو انتصار للفكر الغربي، الذي يسوق هذه الأفكار، وما خلص إليه الباحث هو: أن حملات الهيمنة والسيطرة التي يقوم بها الغرب جاءت نتيجة خوفه من قوة الإسلام، لذلك انطلق يوجه جهوده ليس فقط إلى ظواهر الحياة العربية الإسلامية، بل إلى جوهرها، فامتدت يد الغرب الاستعماري إلى تخريب النمط الحضاري للأمة العربية الإسلامية، وفي هذا إعلاء لشأن حضارته وهذا ما يبغيه.

– **دراسة (أحمد منصور، 1994م)**[16] والمعنونة بـ "قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام الجديد"، تناولت الدراسة معظم قضايا العالم الإسلامي من ناحية: أسباب تأجيجها كقضايا يكثر بين أهلها القتل والتدمير وتوصل الباحث إلى عدة استنتاجات هامة منها: أن الغرب هو السبب المباشر وغير المباشر هذه القضايا، وأن الهدف الأساسي من وراء صناعة أسباب هذه القضايا هو إضعاف العالم الإسلامي وتمزيقه وتفكيك أوصاله تمهيداً إلى الزحف عليه والهيمنة على كل مقدراته، وكان للغرب ما كان عند إطلالة العقد الأخير من القرن الماضي حتى رفع رايات النصر باسم النظام العالمي الجديد والذي عنوانه القياد إلى الغرب المنتصر، والسيطرة على الشرف الضعيف.

– **دراسة (اسمهان عقلان، 1997م)**[17] والمعنونة بـ: "دور الأحداث التاريخية في صياغة الخطاب السياسي"، استندت الدراسة على فرضية قوامها أن للأحداث التاريخية تأثير كبير في صياغة الخطاب السياسي للأمم والشعوب، وبعد أن تناولت الباحثة بعض جوانب أدوار هذه الأحداث توصلت إلى عدة نتائج أهمها: أن الأحداث تشكل الهوية الفكرية للخطاب السياسي، ولما كان الغرب يملك من القوة مقابل الضعف الذي عليه المشرق العربي والإسلامي، فلا بد من أن تصنع الأحداث المتكررة من جانب الطرف الذي يملك قوة النزعة الاستعلائية، والتي قوامها الهيمنة والسيطرة من جانب صاحب القوة على الضعيف في أطراف معادلة الحياة، وهذا ما نحن عليه الآن.

– **دراسة (حسين سلوم، 2002م)**[18] والموسومة بـ: "حاضر العالم الإسلامي عوامل التخلف والنهوض"، وقد استهدفت دراسته الإجابة على سؤال الذي طُرح ومازال يطرح وهو: لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟، بمعنى لماذا تأخر الشرق الإسلامي وتقدم الغرب الاستعماري، وتوصل الباحث إلى نتيجة مفادها: أن التمزق والتفكك وضياع

الهوية وانهيار المؤسسات والتخلف الفكري، كل ذلك أدى بهم إلى العجز عن الخروج من حالة التيه التي يعيش بها المسلمون، وكل ذلك أدى بهم إلى ضعف لا أمام "القوى العالمية" وحدها –ويقصد بذلك الغرب المستعلي– بل أمام أصغر القوى وأضألها ضعفاً. ومن أهم التوصيات التي جاءت بها الدراسة هي: سلوك درب الوحدة لأن بها القوة ولا تكون الوحدة إلا إذا نبذت العصبية التي أدت بنا للانقسام إلى مذاهب متنوعة، كان التعارض بينها هو سببه التعصب، وهو سبب الاختلاف، وسبب الفرقة والتمزق والتفكك، وسبب هيمنة الغرب المتغطرس على العالم العربي والإسلامي معاً، وسبب الاستعلاء عليه

– **دراسة (نبيل شعث، 2002م)**[19] والموسومة بـ: "الهيمنة الأمريكية: الجذور التاريخية والعواقب"، وقد هدفت الدراسة إلى استقصاء البدايات الأولى للسياسة الاستعلائية الغربية والتي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وقد خلص الباحث إلى عدة استنتاجات أهمها: إن النزعة الاستعلائية متجذرة في الفكر الغربي ومتغلغلة في أجهزة صناعة القرار السياسي هناك، وان السياسة الاستعلائية التي تتبعها أمريكا اليوم والممثلة للغرب الاستعماري ليست وليدة الحادي عشر من أيلول، وإنما هي حلقة في سلسلة طويلة تشمل الميادين الفكرية والاقتصادية والاجتماعية، وان أسطورة الإحساس بالتفرد ولدت هي الأخرى أسطورة الوهم بأن الغرب متفوق على الآخرين.

– **دراسة (صباح البغدادي، 2004م)**[20] والمعنونة بـ: "الشرق والغرب: وهم الحوار وحقيقة الصراع"، استهدفت الدراسة كشف الحقيقة بين الشرق والغرب حول موضوع الحوار الذي ينادي به الغرب، وقد دارت الدراسة حول إشكالية مفادها: إلى أي مدى يمكن للشرق أن يثق بما ينادي به الغرب للجوء إلى الحوار لحل المسائل العالقة بين الشرق والغرب، ولكن الدراسة بعد أن استرجع الباحث تاريخ طويل من الاحتكاك عبر حوادث معينة كالحروب الصليبية والغزو الاستعماري للبلاد العربية خلال القرن الماضي والحالي، خلص الباحث إلى نتيجة هامة هي: أن الغرب لا ينكف عن التدخل في الشرق العربي والإسلامي، وسيبقى على هذه الحال حتى يهيمن على كل مجريات الأحداث فيه وجوانب حياته كلها.

– **دراسة (أحمد عيسى، 2006م)**[21] والموسومة بـ "حرب القيم" وقد ركزت الدراسة على الصراع الدائر بين القيم الغربية والقيم الإسلامية، وكانت دوافع الدراسة تلك المحاضرة التي ألقاها "توني بلير" –رئيس

وزراء بريطانيا السابق– والذي ركز فيها على القيم الغربية على اعتبارها فاضلة وقارنها بالقيم الإسلامية على اعتبارها فاسدة – في نظره– والذي جاء فيها: "إن النزاع في الشرق الأوسط يدور حول التحديث داخل الإسلام، ويدخل في إطار الصراع الانتصار للقيم الحميدة في مواجهة الكراهية والتعصب، وخلص المحاضرة إلى حقيقة هي ان الانتصار المطلوب هو الانتصار الذي يتطلب تغييراً شاملاً في إستراتيجية خوض "النضال المصيري" حول القيم التي سترسم مستقبل العالم، وقد خلص الباحث: إلى أن الحروب الدائرة بين الشرق صاحب قيم الصلاح والأمانة وبين الغرب صاحب قيم الشر والظلم الغطرسة هي حرب مستمرة لا تخمد نارها، إلا إذا سيطر أحدهما على الآخر، ورجح الباحث انتصار الشرق على الغرب، وما يقوم بين الغرب من حملات هيمنة وتدمير إلا لإفشال هذا الانتصار أو على الأقل تأخيره، من أجل إبقاء السيطرة عليه".

– **دراسة (جون ميلر، 2006م)**(22) الموسومة بـ "دوافع أمريكا النبيلة" وقد استهدفت الدراسة عن كشف الحقيقة والكامنة في الكينونة الأمريكية، هل هي حقاً نبيلة أم أسم بلا مضمون؟، وبعد استعراض كافة جوانب الدراسة المتعلقة بالهدف الرئيسي لها، توصل الباحث إلى حقيقة تلك الدوافع والقائمة على أن الأمريكان في كل اتجاه ذهبوا معهم الحق، في أن يهاجموا أية أمة وأية منطقة يختارونها بناءً على اعتقادهم، بأنها تشكل خطراً وتهديداً لهم، ولا ضرورة لإبداء الرأي أو إيجاد الدليل، وهذا يتطلب منهم تخزين أكبر ترسانة أسلحة الدمار الشامل في تاريخ البشرية وذلك لاستخدامها لهذه الغاية أو على الأقل التهديد باستخدامها، لكي تبقى كلمة أمريكا هي الأعلى، وهذا هو ذروة الاستعلاء في الأرض.

– **دراسة (محمد المختار الفال، 2007م)**(23) والمعنونة بـ "الساعات الأولى في الكفاح الفكري" استهدفت الدراسة الكشف عن الدوافع الغربية في ظل ما يسمى بالنظام العالمي الجديد التي جعلت من الغرب عدواً للشرق، واعتبرته يضم الأشرار ومبعث الشرور، وتوصل الباحث بعد دراسة كافة الجوانب التي تخدم أغراض الدراسة إلى عدة استنتاجات هامة هي: إن السبب الرئيسي في قيام الغرب لعمليات هادفة إلى السيطرة والهيمنة على الشرق، هو الأفكار القائمة على الاعتقاد أن للغرب مهمة رسالية، مضمونها إنقاذ العالم من الشرور والأشرار، ولن يتم هذا الإنقاذ إلا إذا تم إدخال الديمقراطية، ومفاهيم الحرية إلى بلاد الشرق،

الذي هو مبعث ذلك الشر ومسكن الأشرار، ولا يتم ذلك إلا إذا تمت السيطرة عليه.

إن هذه الدراسة التي نحن بصددها تختلف عن الدراسات السابقة بعدة جوانب حتى استوجبت البحث، وهذه الجوانب هي:

1. إن الدراسات السابقة لم تتعمق في تقصي هذه النزعة في الفكر الغربي من اجل الوصول لمعرفة مكانتها في ذلك الفكر.
2. أغفلت الدراسات السابقة عوامل إدامة هذه النزعة في الفكر الغربي، وكذلك أسباب تأججها والتي تبقيها حية في أذهان الغربيين.
3. تجاهلت الدراسات السابقة الأساليب التعاملية الغربية الاستعلائية التي يتبعها الغرب في تعاملهم مع الآخرين ونخص هاهنا العرب والمسلمين.
4. الدراسات السابقة لم تتعرض للكيفية التي يمكن بها مواجهة الغرب المستعلي وإحباط محاولات تحقيق أهدافه في إشباع نزعة الاستعلاء المسيطرة هي الأخرى على فكره.

منهجية الدراسة:

ستعتمد هذه الدراسة على المنهج التاريخي والوصفي والمقارن، وهذه مناهج مستخدمة في عمليات البحث العلمي، فالمنهج الأول اعتمدته الدراسة للرجوع للماضي وصولاً لتأمل الحاضر، الذي كانت عليه الحضارتين العربية الإسلامية والحضارة الغربية، وان كانت ولادة الأخيرة متأخرة بكثير عن ولادة الأولى زمناً، والذي جعل القائمين عليها يتعاملون مع العرب من خلال عقدة الاستعلاء التي تعشش في فكرهم وتنعكس بدورها على تصرفاتهم، والمنهج الوصفي وذلك لوصف ظاهرة الاستعلاء ومراميها، وإما المنهج المقارن، فكان لا بد منه للوقوف على بعض مظاهر النزعة الاستعلائية، في الفكر والحضارة الغربية، وما تقابلها من مظاهر للنزعة الإنسانية في الفكر العربي الإسلامي.

وإننا سنعتمد على المراجع العربية دون الأخرى، لكون الغرب لا يرى بعدوانيته الرامية للاستعلاء إلا أمور مشروعة، ومن حقه فعل ما يريد من بطش وتدمير، مسوغا لذلك أسباباً.

مغلفة بغلاف الفضيلة كتسويق الديمقراطية للمشرق، على اعتبارها مفقودة في أرجاءه على سبيل المثال، وبالتالي يجعل الغرب من تسويقها واجبا إنسانيا لابد من القيام به.

وأما من حيث ما ستناوله من فقرات لبلوغ أهداف البحث والإجابة على أسئلة الدراسة، فإننا سنعمد إلى تناولها في مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة تتضمن الاستنتاجات والتوصيات وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول
النزعة الاستعلائية ومكانتها في الفكر الغربي

أولاً: التعريف بالنزعة الاستعلائية: الناظر في اللغة العربية لمعرفة معنى النزعة الاستعلائية يجد نفسه مضطراً إلى فصم عرى الكلمتين بعضهما عن بعض، وينظر إلى ما تعينه كل منهما منفردتين وما يعنيان بعد ضمهما. فالنزعة هي من "نزع"، وتعني الحنين والاشتياق، فتقول: "نزع إلى أهله أي حن واشتاق إليهم"، ونقول: "نزعة عرق يعني أشبه أصله" وتقول: "مال إلى هواه أي مال إلى الدفين الذي في نفسه"[24]، ولهذه النزعات عدة أوجه: كالحاجة والشهوة والغريزة والرغبة وغيرها من ظواهر النشاط التلقائي عند الإنسان، وتنقسم النزعات إلى: نزعات شخصية وتهدف إلى تحقيق مصلحة صاحبها، ونزعات غيرية وتدفع إلى تحقيق مصلحة الآخرين، ونزعات عصبية وتسعى إلى الاعتزاز بالعشيرة والأصل[25]. وأما ما تعنيه كلمة الاستعلاء: فهي من "على" و"يعلو" وتعني أنه "اشرف على الأخر من مكان عال"، ويقال فلان "استعلائي" يعني أنه: "فوقي"، بمعنى: "نظر إلى الأخر نظرة دونية"، والاستعلائية بهذا التوجه هي: "صفة غير محببة تجلب الحقد والكراهية لصاحبها"، وأما في الاصطلاح فهي: "صفة متأصلة في نفسية الإنسان تميل به وتدفعه إلى التفرد والسيطرة والهيمنة وحب الظهور على الآخر، فتقيده بالقيود وتكبله وتشرف عليه وتتعهد أحواله وتحصي له أعماله، وهي عقدة إذا ما تأصلت في فكر الإنسان أكسبته صفة العداوة التي تلازم سلوكه، وتورثه عدم الثقة بالآخرين"[26]، وهي أعظم ما تميز الفكر الغربي اليوم عن غيره، وخصوصاً أن الغرب رفع لواء: "من لم يكن معنا فهو ضدنا"[27]، وهو في صف غيرنا وما نحن عليه هو الأصح وما هو عليه غيرنا فهو الخطأ يجب أن يقاوم ويفنى.

ثانياً: مكانة النزعة الاستعلائية في الفكر الغربي: إن أعظم ما يميز الفكر الغربي اليوم، والذي يترجم إلى سلوك فعلي تجاه الآخر هو "النزوع إلى الاستعلاء"، وهي صفة متأصلة في هذا الفكر حيث مست كل أدباء وفلاسفة عصر التنوير وطبعتهم بطابع استعلائي، فأعلام أهل الفكر الغربي لم يخرجوا من قبضة هذه الايدولوجيا الاستعلائية والنظرة الفوقية وغريزة السيطرة وحب الهيمنة سمها ما شئت فهي تذهب إلى معنى واحد، إن فولتير ومنتسكيو وكوندورسيه تحدثوا عن الحضارات الأخرى بقدر عدد كبير من الاحترام، ولكن حديثهم عن التقدم الذي حققته هذه الحضارات كان بكثير من التقصير، وهذا ما أدى إلى

إبراز نزعة الاستعلاء لديهم، وذلك لإبراز تفرد الغرب عن غيره، ففولتير كان يعتقد إن الزنوج بالذات غير قابلين لأي تحضر حقيقي، والفيلسوف جيبون كان ينظر نفس النظرة عند مقارنة الغرب بالشرق حيث اعتبر الأول متقدم والثاني متأخر، وهذا هوبز ولوك ورسو وهيوم، كانوا يرون إن الحضارة ما هي إلا احتكار على البيض، وهي من صنعهم وحدهم ومقتصرة عليهم، وسان سيمون كان يرى بأوروبا المتقدمة، هي التي ستمد يدها إلى العالم وتملأ الأرض بالجنس الأبيض، الذي هو أرقى من الأجناس الأخرى، وهيجل كان ينظر للشرق على انه في أدنى درجات سلم الرقي، ادني من الإغريق والرومان، وهتلر بني نظريته على أساس تفوق العرق الجرماني، الذي ترتب على ذلك جنون القوة وهاجس التوسع وقهر الشعوب، ونتائجها أن أفزت حروباً مدمرة لأوروبا عانت ولا تزال شعوبها تعاني منها إلى اليوم، رغم مرور عقود كثيرة من الزمن عليها[28]. إن هذه النزعة لم تغيرها الأيام بل هي متوارثة بين أجيال الغربيين، وتشكل اليوم وباختصار، أحد الأهداف المهمة في صلب الإستراتيجية الغربية، والتي تقوم على: ضرورة ضمان التفوق الغربي –لاحظ الاستعلاء في القول– على العالم في القرن الحادي والعشرين، ومن أجل تحقيق ذلك، لابد من تبني سياسة هجومية غير إعتذارية وانفرادية وغير مترددة تعتمد على القوة العسكرية[29]، كما وأننا نقرأ تأصيل هذه النزعة في ملامح السياسة الغربية للقرن الحالي والمتمثلة بـ: "ضرورة نشر القوات العسكرية في أغلب بقاع الأرض، والتدخل في أية قضية مها كانت إقليمية وتفرض الحل الذي تراه، ويجب أن تكون المقوم الوحيد لجميع أنظمة الحكم في العالم، والسيطرة على النظام المالي العالمي، كما أن تحمل هذه السياسة في ثناياها جعل الثقافة الغربية معياراً للذوق في جميع أنحاء العالم[30]. إن النزعة الاستعلائية وسياسة الاملاءات المباشرة على الآخرين، والوصول الو مستوى استخدام القوة والتهديد باستخدامها ضد أي دولة، لا تنصاع إلى الهيمنة العلنية ليس وليد الساعة ولا هو نتيجة لتفجيرات الحادي عشر من أيلول، وإنما هو حلقة من سلسلة طويلة تشمل كل المبادين الفكرية والاقتصادية والعسكرية والسياسية، بل هي متجذرة في الفكر الغربي، إن النزعة الاستعلائية والحالة هذه متغلغة في أجهزة صناعة الفكر والقرار السياسي هناك في الغرب[31].

إن نزعة الاستعلاء والحالة هذه لصيقة لا تنفك عن الفكر الغربي، وهي بلا شك تستحوذ على عقيلة القادة وأهل السياسة هناك،

وهذه النزعة تترجم إلى عقائد سياسية يعمل هؤلاء القادة وأهل السياسة هناك إلى إسقاط هذه العقائد على سلوكهم وطريقة معاملتهم مع الآخرين.

المطلب الثاني
عوامل وأسباب إدامة وتأجيج النزعة الاستعلائية الغربية

إن النزعة الاستعلائية متأصلة في نفسية الغربيين، إضافة إلى ذلك هناك عوامل تعتبر بمثابة سواقي تغذية لهذه النزعة لتديمها في ذهنية الغربي، وإلى جانب هذه السواقي هناك أسباب تعمل بين حين وآخر على إيقاظها ولتبقى متوهجة لا يخفت وهيجها، وسنبين ذلك في فقرتين رئيسيتين هما:

أولاً: عوامل الإدامة. هناك سواقي تعمل على تغذية النزعة الاستعلائية لدى الغرب، كلما انطفأت نيرانها أو خف وهيجها في صدور الغربيين، وهذه السواقي تتمثل بالعوامل التالية:

1) الاستشراق: يعنى الاستشراق بتعلم علوم الشرق وتلك هي بدايته، واغلب الظن إن حركة تعلم علوم الشرق كانت بعد أن فتح الغرب عيناه على الفتح الإسلامي، وبعد ما انتقلت حضارة العرب المسلمين وعلومهم إلى الغرب في جامعات قرطبة وطليطلة وصقلية وغيرها، ومن أوائل هؤلاء الذين اعتنوا بتعلم علوم الشرق، الفرنسي (جودث) الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام 999م، وبعد أن تعلم في معاهد الأندلس، والراهب بطرس المحترم (1092–1156م)، والراهب جراردي كربون (1114–1187م)[32]. لقد توسع الاستشراق مع الحروب الصليبية وزاد خطره، وكان هدفه انتصار الحروب الصليبية في صورتها المشوهة، والتي شوهت حقيقة الدين الذي جاء به السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، وقد اتصفت بالعصبية المقيتة، والنزعة العدوانية التي تهدف إلى السيطرة والهيمنة على الشرق، وابتزاز ثرواته بعد السيطرة عليه وسلب كل مظاهر القوة منه، لذا عمد المستشرقون إلى تشويه كل ما يدل على الإسلام، وفي مقدمة ذلك كتاب الله المنزل على سيد البشر، وسنته الشريفة، وشخصه الشريف ﷺ، وقبل هذا وذاك تناولوا الذات الإلهي، فزعموا في بعض صفات الله ﷻ الغموض والتناقض، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمة إناثاً[33]، ومنذ زمن بعيد من عمر الزمن ولغاية الآن، ولا زال الكتاب وأهل الفكر والرسامون يعتدون على حياة المصطفى ﷺ بالكثير مما يتنافى وابسط قواعد الأخلاق معتمدين على بعض كتابات المستشرقين ممن حادوا عن طريق الصواب، ثم دعنا نسأل أليس أهل العلم والفكر اليوم هم أبناء ذلك الجيل القديم، الذين جاءوا ليحاربوا الشرق تحت راية الصليب؟!، أليس هؤلاء هم

من حفدة أولئك الذين تأصلت لديهم نزعة الاستعلاء والسيطرة من أحفاد: فولتير وهويز ولوك ورسو وسان سايمون؟!، إن لم يكونوا أحفادهم فهم ممن نهلوا من مدرسة فكرهم واخذوا بتعاليمهم. ومما لا شك فيه حتى نكون من أهل الإنصاف إن البعض من هؤلاء المستشرقين قدموا الكثير من الجهود في تحقيق التراث الإسلامي والدفاع عن بعض قضايا العرب والمسلمين، إن اهتمامات أهل الاستشراف اليوم، قد انصبت على الحركات الإسلامية المعاصرة، وصراعها مع الحكومات القائمة، ومستقبل الإسلام في الغرب، على خلاف ما كان عليه أهل الاستشراق فيما مضى، ويفسر ذلك ما يلي:

أ. إن عدد المسلمين تضاعف في الغرب، وأصبحوا قوة أخذت أوروبا تخشى من هذه الإعداد المتزايدة منهم، وخصوصاً وهم يرون نسيجهم العقائدي اخذ يشتد ويقوى عوده مما جعلهم يعيشون في دوامة من الخوف من هذا الوليد (الإسلام) الذي ولد في رحم الحضارة الأوروبية[34].

ب. ترجيح الجانب السياسي في الدراسات الإسلامية، وخصوصاً تلك التي هزت العالم أثر وقوعها، ومنها الثورة الإسلامية في إيران، ونجاح طالبان في أفغانستان وبسبب هذا النجاح كان الاحتلال، وأخيراً العراق واحتلاله، وكذلك الاغتيالات التي لها أبعاد سياسية ومثالها اغتيال الرئيس محمد أنور السادات رئيس مصر العربية على اثر توقيعه لاتفاقية كامب ديفيد عام 1979م[35]، ومحمد بوضياف الرئيس الجزائري، واغتيال رئيس وزراء لبنان رفيق الحريري فيما بعد.

ج. التكوين العقلي لأهل الفكر الديني الإسلامي والذين تتلمذوا في بلاد الغرب، واليوم أصبحوا أساتذة في جامعاته , مما جعل منهم بلا ادني شك يعرفون النهج العقلي للفكر الأوروبي بخاصة والغرب بعامة، مما أهلهم للتعامل مع العقلية الأوروبية، بالصورة الدامغة للحجة الموهنة للفكر السلبي الأوروبي والغربي بعموميته المغرض بالشرق العربي والإسلامي والهادف للإيقاع به[36]، وقد تمكن هؤلاء من الرد على شبهات المستشرقين ودحض أباطيلهم التي استهدفت مصادر التشريع الإسلامي، وسيرة الرسول الكريم ﷺ، والتاريخ الإسلامي واللغة العربية، وهذا مؤداه توضيح الحقيقة ودفن كل من محاولات الدس والتدنيس والتضليل والخداع الذي يرفع لواءه كل مستشرق تتأصل في نفسية نزعة الاستعلاء.

ومما لاشك فيه أن الاستشراق يحمل في طياته، دوافع استعمارية قائمة على أساس معرفة البلدان لتحسس مواطن الضعف فيها قبل مهاجمتها، للاستحواذ عليها بأقل التكاليف هذا من جهة، ومنعها من امتلاك أسباب القوة لندوم سيطرتها اكبر مدة زمنية عليها من جهة ثانية، كما نال الاستشراق من المناهج التعليمية والثقافية والفكر في العالم العربي والإسلامي الكثير من التشويه بسبب الشبهات والخرافات والأباطيل التي ضمنوها لتلك المناهج، وهذه بدورها تخلق جيلا متهاون يسهل السيطرة والاستعلاء عليه.

2) الاستعمار (الاستدمار): بداية لا بد لنا من تصحيح هذا المصطلح، فالاستعمار يعني من التعمير والبناء وهذا لا يتطابق مع الواقع، فالمصطلح في هذا الصدد له من الخطورة بمكان على الإفهام، وكان الاستعمار بات ظاهرة تعد في مصالح الشعوب المستعمرَة، ولا أدل على ما ذهبا إليه لضرورة التصحيح من قوله الله تعالى: **﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾**[37]، ونقول استعمر استعمار فهو من التعمير والبناء، وإما المصطلح الصحيح في هذا المقام هو مصطلح الاستدمار، فالدولة التي تجتاح دولة أخرى تعمل على تدميرها لتتبقى واهنة ضعيفة، ليدوم لها البقاء على أرضها، وما دامت كذلك فإن مدة السيطرة والهيمنة تطول مع طول وهنها وضعفها، لذا سأسمي الآن الاستعمار بالاستدمار ولإغراض هذا البحث، إن الظاهرة الاستدمارية هي أسوء ما أفرزته نزعة الاستعلاء الغربية، فهي تجسيد للرغبة الملحة في الهيمنة على الشعوب التي تعيش خارج الحضارة الغربية، لقد كانت انطلاقة هذه الظاهرة الاستدمارية من الضرورة القاضية إلى دفع عجلة التطور الغربية التي انطلقت مع الثورة الصناعية، فأصبح البحث عن ثروة جديدة وأيدي عاملة هاجس المهتمين بالاقتصاد والسياسة على حد سواء، ولما كانت المنطقة العربية غنية بالمواد الأولية، توجهت إليها الآلة العسكرية الغربية للسيطرة عليها، رزحت كل من الأقطار العربية تحت نير الاستعمار[38] (38)، فاحتلت الجزائر عام 1830م، وتونس عام 1881م، ومصر عام 1882م، ومراكش عام 1912م، والعراق عام 1914م، وسوريا عام 1920م، وفلسطين عام 1947م، وعاد الغرب ثانية إلى احتلال العراق عام 2003م في ظل دعاوى واهنة يندى لها الجبين[39]. إن شعوب الدول المحتلة على الرغم من وهنها لم تقبل الحضارة الغربية، لأنها غير جاذبة بالنسبة للعربي رغم بريقها، فهي لا تتناسب ومعايير العربي الحضارية التي تقوم على التسامح، في حين المعيار

الحقيقي للحضارة الغربية يقوم على العدوانية ورفض أي حضارة تنازعها القوة وتقبلها الحجة بالحجة، إذن الاستدمار ما هو ظاهرة ذات نزعة استعلائية فوقية، لا يرى بالآخر إلا دوني لا يستحق إلا القتل والتعذيب، وما التنكيل والبطش الذي لحق بكل الدول العربية التي وطئها الاستدمار إلا دليل على العدوانية، وترسيخ لعقدة الإبادة لدى المستدمريين الذين حصدوا أرواح أبناء الشعوب من أجل السيطرة وإدامة هيمنة الغربي على العربي المسلم، وفق ما تمليه نزعتهم الاستعلائية.

إن أبرز نتائج الظاهرة الاستدمارية على المنطقة العربية، والتي تخدم النزعة الاستعلائية لإدامتها، تتمثل في خلق بؤرة صراع بين كل الأقطار العربية والإسلامية وخاصة بين الدول ذات الثراء الاقتصادي[40]، وهذا يستدعي كلما أخذ الصراع بين الإطراف مكانه جاءت الدول الاستدمارية للمنطقة لترفع درجة الاستعلاء من جديد، وبالصورة التي تحكم بها قبضة السيطرة بإحكام، فالمشاكل الحدودية بين الأقطار العربية حدث عنها ولا حرج، ودرجات الاستعلاء هي الأخرى قي ارتفاع دائم، كلما ثارت مشكلة حدودية وغير حدودية بين الأقطار العربية والإسلامية كذلك.

3) **الغزو الثقافي:** لقد كان بدء التفكير في الغزو الثقافي، بعد إن أحس الغرب، أن الغزو العسكري يقلق الناس حين يسمعون به، ويتكاتفون أشد تكاثف لمقاومته، وأدراك الغرب إن النتائج التي يفضي إليها الغزو الثقافي ناجحة أكثر بكثير مما يحققه الغزو العسكري، نتيجةً ما يصاحبه من خسائر مادية وبشرية، إن الغرب بدأ بهذا اللون من الغزو عندما أحس في خطر من الإسلام على بلاده من جهة، وما للإسلام من أسباب يجعل من أهله وإتباعه قوة ضد الغرب الطامع[41]. إن أول ما سمعت إليه الدول القائمة على الغزو الفكري محاولة قطع كل صلة تربط المسلمين بالإسلام، وملاحقة أنصار الخلافة، واتخاذ دستور علماني، وبذلك تم فتح الباب لتسريب المناهج التربوية والتعليمية الغربية، إلى العالم العربي الإسلامي من حيث المضمون والأهداف، ويكفي إن نعلم كدليل، أن دروس التاريخ المقررة في المدارس وجامعات الأقطار العربية، تعتبر فترة الحكم العثماني للعالم العربي استعماراً في حين تقدم الحملة الفرنسية على مصر أنها سبباً رئيسياً في بعث النهضة العربية الحديثة، وهذا يعني إن كل أسباب التخلف هي أسباب داخلية، وإما ما يصيب العالم العربي من تقدم فإنه يكمن في الحلول الغربية المستوردة، وهذه دعوة خفية لاعتناق

العلمانية التي عليها الغرب، وحصر الإسلام في ممارسة العبادات كمرحلة أولية، والسير على طرق الخروج عن الإسلام في المراحل التالية، ومحاربة اللغة العربية في المراحل الأولية، واستبدالها بالغة الأجنبية ولتكن الانجليزية في مراحل لاحقة وهكذا. وهذا ما يجعل الكثير من المفكرين العرب يعانون من مركب النقص تجاه الثقافة الغربية، والنتيجة هي إبقاء العالم العربي والإسلامي في دائرة التخلف، واستمرار التبعية من كل جوانبها للقوى الغربية وهذا هو الهدف، وما ترنو إليه تلك الدول وتطمح إلى تحقيقه[42].

لقد حقق الغزو الثقافي الكثير من النجاحات لصالح الغرب، وهذا ما أكده المؤرخ البريطاني "تونبي" إذ قال: "ما كان لأوربا أن تصل إلى معشار هذه النتائج لو ظلت ألف سنة تحمل السلاح وتقذف بالجيوش وتنتصر بالحروب"[43]، من نتائج هذا الغزو كان إيجاد أتباع في صفوف الأمة العربية والإسلامية للغرب الغازي، والتغلغل في صفوفها وصرف الأجيال عن التمسك بدينها، وإضعاف فاعلية الإسلام وعزله عن التأثير في حياة المسلمين، وهذا يعني إضعاف سر قوتهم ونزع مهابة الآخرين منهم، وهذا من شأنه تسهيل دروب الاستعلاء عليهم. ورغم ذلك فإن الكثير من أبناء الأمة العربية يرفضون هذا الغزو ويقاومونه، ومظاهر ذلك يتمثل في قيام المظاهرات والاحتجاجات لمنع كتب أو عرض مسرحيات أو أفلام تسئ للإسلام، أو تعارض القيم الأخلاقية للمجتمعات العربية والإسلامية، وهذه الصورة النضالية تؤكد حيوية الأمة الإسلامية رغم كل المحن والضربات التي تلحق بها كل يوم، ورغم كل هذا فإن قدرتها على الاستجابة للتحدي الحضاري المضاد لا يزال في قمة العطاء.

إذا كان ما سبق من عوامل مثلت سواقي تغذية للنزعة الاستعلائية الغربية، والمتأصلة في الفكر الغربي حتى لا تموت أو تندثر، كان إلى جانبها أسباب تعمل على تأجيجها كلما خف وهيجها في النفوس الغربية، وهذا ما سنتناولها تالياً.

ثانياً: أسباب تأجيج النزعة الاستعلائية: هناك الأسباب كثيرة تعمل على تأجيج النزعة الاستعلائية في الفكر الغربي وتؤججها، أن هذه الأسباب تلعب أدوارا متباينة الحجم والتأثير في تثوير النزعة تلك، ومن أهم هذه الأسباب هي:

1) الإعلام الغربي: الناظر في الرسالة الإعلامية الغربية نظرة المتفحص يجدها تنطلق من منطلقات قائمة على صور نمطية عن الذات والأخر، الذات باعتبارها رمز التقدم والنجاح والتحضر، والأخر باعتباره اقرب إلى

التوحش والبدائية، وبذلك يعد الإعلام الغربي إعلام متحيز لا يقدم المعلومة بصورتها الصحيحة، كما وتقوم وسائل الإعلام في معظم دول الغرب بالتركيز على العديد من القضايا التي تحفز المشاعر الاستعلائية في الضمير الغربي(44)، وتقوم بالتركيز على قضايا اللجؤ والهجرة والجماعات المتطرفة في الغرب، وتصوير المجتمعات الأصلية للأقليات العرقية والدينية على أنها مجتمعات حروب وإرهاب وتخلف، وتصنع هالة من التوجس والخيفة والانطواء تجاه الأجنبي القادم إلى قلب الجنة الغربية، وبالمقابل تهمل وسائل الإعلام النجاحات التي تتحقق على يد هذه الجماعات الأجنبية، وتذهب إلى تحميل هذه الجماعات كمكافئة لنجاحاتها، مسؤولية الكوارث والأزمات التي تمر بها بلدان الغرب الذي تعيش على أرضها تلك الجماعة(45)، وفي الجانب العربي تعتبر صورة العرب والمسلمين المشوهة والمقترنة في الإعلام الغربي بكل ما هو قبيح(46)، وهذا له مردود سيء لكونه ينتج الكراهية والحقد على العرب والمسلمين لدى الغربيين، وما الظاهرة التي تعرف اليوم في الدراسات الاجتماعية الغربية والمعروفة باسم (الاسلاموفوميا) أي الخوف والتخوف من الإسلام وتصويره باعتباره سيفا يهدد الحضارة الغربية، ما هو إلا صناعة الإعلام الغربي، الذي أخذ بنذر من زمن بعيد ويحذر من الخطر الإسلامي الذي يجتاح العالم، فهذه صحيفة (Los Angeles Time) الأمريكية أخذت تنشر مقالات تفيد أن الحرب الباردة بدأت من جديد بين الإسلام والغرب وتقول: "الإسلام هو مصدر خطر للأمن القومي الغربي والقيم الغربية، لكونه قوة تحتل رقعة من العالم تمتد من يوغسلافيا إلى أواسط آسيا أو ما يسميه العرب بهلال أو قوس الأزمة Crescent Crisis"(47)، ونشرت صحيفة (Washington Times) ما يلي: "إذا كانت الأيديولوجية الشيوعية قد وصفت بأنها مرض فإن الأصولية الإسلامية هي الآن وباء معدي، والعقيدة الإسلامية هي أداة قديمة وقوية وتشكل خطراً حقيقياً على الغرب والأنظمة الهشة في الشرق الأوسط والخليج"(48)، وكتب Daniel Pipes مقالة له بعنوان "المسلمون قادمون" جاء فيها: "تعتبر الأصولية الإسلامية خطراً يهدد الغرب بشكل أكثر تهديداً من خطر الحرب الباردة بين القوتين العظميين أمريكا والاتحاد السوفيتي"(49)، ويصف الإعلام الغربي أيضا الثقافة الغربية بأنها ثقافة عالمية، وإن الجميع يطمح إلى إن يصبح غربياً مثل الأمريكان وغيرهم، في حين لا يلقي هذا الإعلام بالا للثقافات الأخرى،

على اعتبارها لا تحاكي الواقع، ودون المستوى لتناولها في أية مادة إعلامية.

2) التصرفات السيئة والمشينة: تنعكس مثل هذه التصرفات سلبيا على أبناء الأقليات العرقية والدينية المقيمة في الغرب، وهذا يتأتى نتيجة ما يبدر منهم من سلوكيات مشينة مثل: التحايل على القوانين الرسمية لحكومات الدول الغربية، والركون الطوعي إلى البطالة، والعيش على الإعانات الاجتماعية، أو الانخراط في عصابات الجريمة المنظمة، أو الانضمام، إلى جماعات دينية أو سياسية متطرفة، وهذه تشعر المجتمعات الغربية بأن هؤلاء الأجانب دون المستوى العام للتحضر(50)، وينسى الغرب إن أكثر السلوكيات السيئة الصادرة من الأجانب تأتي كردة فعل على كيفية نعامل المجتمعات الغربية مع تلك الأقليات، فعمليات التهميش الاجتماعي والسياسي وعمليات النبذ والإقصاء خارج النسق الاجتماعي العام، التي يمارسها الغرب ضد المهاجرين وأبناء الأقليات العرقية والدينية بشكل منظم أو عفوي: يمكن اعتباره عوامل تقف وراء تلك التصرفات السيئة والمشينة والدافعة لها، والتي يقوم الإعلام

بدور كبير في تأجيج نزعة الاستعلاء في نفوس الغربيين، لكونه يتولى تضخيمها، وبذلك يؤكد تلك الصورة الدونية في نفوس الغربيين ضد المهاجرين وأبناء الأعراق الأخرى ويعززها.

3) الأسباب الدينية: إن نظرة الغرب الدونية للعرب والمسلمين في العصر الحاضر، تعود في واحدة من أسبابها إلى الحروب الصليبية، التي وقعت بين نصارى أوروبا ومسلمي الشرق في مصر والمشرق العربي، وما نتج عنها من نشوية للصورة العربية الإسلامية في الغرب، فالمؤلفات الغربية أخذت ترسم صورة العرب والمسلمين، صورة المتعصب دينيا، وصورة غير المتسامحين تجاه النصارى، بما ولد ردة فعل لدى الغربيين تحمل في ثناياها الحقد والكراهية للعرب والمسلمين، لقد عزز ذلك مؤخرا قيام الإدارة الأمريكية، بعد حادثة برجي التجارة العالمية، بتوجيه أصابع الاتهام إلى رجال دين إسلاميين كأسامة بن لادن والظواهري، جعلت الغرب ينظر إلى العرب بوجوب تفعيل أداة القتل في صفوفهم، إن ما سبق الغي خاصية التسامح في أذهان الغربيين تجاه الإسلام، ومن ثم ليأتي بابا روما ليعمق نظرة الحقد والكراهية في نفوس الغربيين، عندما يصف في محاضرة له بولاية "بافاريا" الألمانية في 11 أيلول 2006م، رسول الإسلام محمد ﷺ بأنه: "لم يأت إلا بما هو سيء، وهو غير أنساني، زاعما نشر الدين والإسلام بحد السيف"، وعند مقارنته الإسلام بالمسيحية

قال: "إن العقيدة النصرانية قائمة على المنطق، وهذا ما يعوز الإسلام"، كما انه نفي العلاقة التاريخية والفلسفية بين الإسلام والمسيحية، وذهب إلى إقناع المستمعين له في المحاضرة إلى: "اعتبار الإسلام قائم على إلغاء العقل"[51]، وهذا يجعل من أتباع العقيدة القائمة على المنطق وتعطي دورا للعقل أكثر سموا من أتباع الإسلام الذي يلغي دور المنطق والعقل معاً، وهذا هو الاستعلاء بعينه، وهذا القس "فرانكلن غراهام"، ابن القس "بيللي غراهام" فنجده يصف الإسلام في إحدى عضاته بأنه: "دين كثير الشر والخبث"، والمبشر الأصولي "جيري فالويل"، قال في برنامج له وما يعرف بـ (60) دقيقة الذي تبثه محطة "CBNC": "إن النبي محمدا إرهابي"، والقس المتطرف "بات روبرتسون" يصف الإسلام في إحدى مقابلاته التلفزيونية: "بأنه خدعة كبيرة وان النبي محمدا كان مجرد متطرف لقد كان سارق وقاطع طريق"[52].

إن في اعتقادنا ما سبق له دلالات كثيرة، ففي جانب النزعة الاستعلائية: يصورون الدين المسيحي أكثر سمواً من الدين الإسلامي، وبالتالي فأتباع المسيحية الغربية هم أكثر سموا من المسلمين، وخصوصاً والأقوال والتصريحات تأتي من رجال دين لهم مكانتهم في الغرب، وكذلك يصورون نبي الإسلام ﷺ، بصورة تنم عن الحقد والكراهية، مما يدفع الغربي إلى التمسك بنزعته الاستعلائية حتى من الناحية الدينية، وهو يقرأ عن الرسول الكريم ﷺ، هذا الذي يقوله رجال الدين الغربي في حقه.

4) غطرسة القوة: يتصرف الغرب اليوم وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية وكأنها تمتلك القوة المطلقة التي تمكنها من تحقيق كل أهدافها، بل وتمكنها من حرمان خصمها من تحقيق أي هدف من أهدافه، وتعتقد إن كل مكسب لها هو خسارة مطلقة لخصمها على طريقة المبارة الصفرية، التي يكسب احد الإطراف كل شيء ويخسر الطرف الأخر كل شيء، ولنأخذ مثالاً قريباً للتدليل إلى ما ذهبنا إليه، حيث أظهرت تصريحات المسئولين الأمريكيين، مدى رسوخ وهم القوة المطلقة التي رسموها على قوة بلادهم وقدرتها، على انجاز الأهداف

كل الأهداف التي وضعتها على أجندتها، وذلك بسبب اعتقاد الغرب أنه يمتلك كل أسباب مقومات القوة من: مقومات اقتصادية وعسكرية وثقافية وحضور دبلوماسي في كل المناسبات[53]، فمنذ وقوع حادثة برجي التجارة ولغاية ألآن لا يتردد المسؤلون هناك في إطلاق الشعارات المسرفة في المطلقات مثل: العدالة المطلقة والحرية المطلقة وغيرها، وهذا

تابع من فرط اغترارهم بالقوة المادية التي يمتلكونها مقارنة بما يمتلكه غيرهم[54]، صحيح إن ميزان القوة أضحى في صالح الغرب وفي مقدمته الولايات المتحدة بشكل جاسم، وبخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وفي ظل تشرذم القوة الدولية الأخرى، ولكن تقاليد العلاقات الدولية لم تعرف في تاريخها الطويل إن جهة ما وصلت ما وصلته من قوة استطاعت إن تفعل ما تشاء دون إن يحاسبها احد، وتنسى تلك الجهة التي تمتلك القوة إن هناك من ينهض للتصدي لها والأمثلة كثيرة، ولعلها أكثر وضوحاً ما حدث لأمريكا في فيتنام وفي لبنان واليوم في أفغانستان، حيث ألحقت المقاومة خسائر موجعة بالرغم من إمكانياتها الضعيفة، وبالرغم من اختلال ميزان القوى بين الغرب وفي مقدمته الولايات المتحدة اليوم وبين الدول تستهين على إعتيارها دول ضعيفة لا تمتلك قوة كقوتها.

وانطلاقاً من حسابات وهم القوة المطلقة، حيث يعتقد الغرب وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية، على اعتباره يمتلكها من قدرات اقتصادية وعسكرية قياساً بغيره من أمم أهل الأرض، يجعل من حسابات القوة المادية أن تعني ببساطة، أن أي طرف أخر يقف في مواجهته سيمثل الضعف المطلق، ومن ثم لن يكون له سوى الهزيمة المطلقة، ولا يجادل احد في إن الولايات المتحدة زعيمة الغرب وقائدته وحدها، دون بقية الدول الغربية الأخرى، تمتلك اكبر قوة تدميرية على وجه الأرض، وما تمتلكه من أسلحة نووية يكفي لإفناء المعمورة مرات عديدة، حيث وصل الإنفاق العسكري الأمريكي إلى ما يعادل نصف الإنفاق العسكري العالمي والبالغ (900) مليار دولار، وهذا يوازي إنفاق الدول الخمس عشرة الأولى في العالم مجتمعة، وتمتلك (15) إلف رأس نووي، و(700) غواصة نووية، و(500) قاذفة إستراتيجية[55]، الأمر الذي جعل صوت الغرب يعلو على بقية الأصوات، وتستعلي شعوبه على بقية شعوب العالم، لكون القوة المادية النى يمتلكها بثت فيه روح الغطرسة، وثورت لدى شعوبه النزعة الاستعلائية من جديد، الأمر الذي اخذ الغرب يدمر هنا ويبطش هناك، ويزيل نظام هنا ويبني آخر هناك.

المطلب الثالث
آثار النزعة الاستعلائية الغربية

تركت النزعة الاستعلائية الغربية آثارا كبيرة على المنطقة العربية والإسلامية، وقد تعددت هذه الآثار وتنوعت بين أساليب تعاملية اقتضتها النزعة، ومحاولات طمس الأصول الثقافية للأمة العربية والإسلامية، وزعزعة النظام الإقليمي العربي والذهاب باستقراره، وجميع هذه الآثار تصب في ميزان هذه

النزعة، ويمكننا بيان ذلك فيما يلي:

أولاً: الأساليب التعاملية الغربية: إن الأساليب التعاملية الغربية مع العالم العربي والإسلامي وان تعددت، فإنه يمكننا أن نميز بين أسلوبين رئيسيين هما:

أ) أسلوب البطش والتنكيل: تعود بنا الذاكرة إلى زمن الحروب الصليبية، التي جاءت تحت شعار الدين ورفعت الصليب لها شعارا، ونادت بتخليص القبر المقدس من يد المسلمين الأشرار، وما أستخدمه الصليبيون من وحشية وهمجية فكان القتل والتمثيل والتشريد والنهب والخراب والقسوة التي فاقت التصور، عنوانا للبطش الصليبي في بيت المقدس وسواحل الشام، على مدى قرنين من الزمن(56)، ومقابل هذه الإساءة الغربية، كان الإحسان من الشرق العربي الذي أعطى الكثير لأوربا المتعطشة للحضارة العربية على الرغم من سؤ معاملة الغرب تلك، فإذا كان الغرب سالبا لكل نعمة أنعمها الله على المشرق العربي، كان المشرق للغرب معطاء وفي هذا نجد(57):

1. مثلت بلاد الشام معبراً انتقلت منه حضارة المسلمين إلى الغرب الأوروبي، فكانت ثمة اتصالات حضارية وثقافية تمت بين الطرفين، فانساب الكثير من الكلمات والمصطلحات العربية في اللغات الأوروبية منذ ذلك العصر.
2. تأثر الفن الحربي وفن بناء الحصون والقلاع عند الأوروبيين بما شاهدوه من نظم ونماذج كانت متبعة في المشرق العربي، وعرفوا فن عمل الاستحكامات ومحاكاة القلاع العربية التي شاهدوا منها نماذج في بلاد الشام ومصر.
3. تأثرت الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية، في الغرب الأوروبي نحو الأفضل، نتيجة ما رآه الغرب ما عليه الشرق العربي في مثر والشام من نظم تحكم حياتهم، ومن هذه: زوال النظام الإقطاعي، وتدعيم السلطة المركزية، وزاد النشاط الاقتصادي ولو بصورة غير متكافئة، بسبب الثروات العربية المنهوبة، وضعف مركز البابوية الذي سوغ للحروب الصليبية يوم كان السيف المسلط على الرقاب.

ب) أسلوب الوداعة وإضمار الشرور: إن الذاكرة الأوروبية لم تنسى كيف طوي بساطها، وقلص ظلها عن المشرق العربي، ورفعت أيديها عن مقدساتها، بعد أن فشلت في تخليص القبر المقدس، وأرض التوراة والإنجيل، وانتزع من يدها كنائسها في بيت المقدس والإسكندرية وإنطاكيا، وأصبحت ديار عروبة وإسلام. لذا اتبعت أوروبا أسلوب الوداعة فجاءوا هذه المرة دون صلبان،

يتقدمهم المستشرقون، وليس القساوسة، ويفاوضون بقناصلهم ومندوبيهم، لا ببطرس الناسك، إنهم هذه المرة لا يهدمون الجوامع ويحولونها إلى كنائس وكاتدرائيات، ولكنهم يظهرون تعظيم الدين والمشايخ، ويدغدغون المشاعر، لقد فهمت أوروبا دروس الحروب الصليبية، فتحاشت الاستفزازات الدينية، ولم تتعرض لشخص الرموز خاصة أولئك الذين كان على رقابهم سطوة أمثال: "نور الدين زنكي" و"صلاح الدين الأيوبي" و"الظاهر بيبرس البندقداري"[58]، جاءت أوروبا هذه المرة باسم الدين. إن كان هذا محل الوداعة، فكان الزوغان قد تمثل في تحقيق ما لم يحققه إسلافهم من تفكيك عرى الدين في المشرق العربي، وغزوا الأفكار قبل الديار، وغسلوا الأدمغة، وهزوا الثوابت والعقائد، ونشروا الرذيلة باسم الحرية، ونفخوا في صورة أهل الذمة باسم حماية الأقليات، واحلوا الفكرة العلمانية محل الفكرة الدينية، واستنطقوا بذلك رجالا من بني جلدة العرب يتكلمون بألسنتهم ويعملون لصالحهم بإخلاص وبكل تفاني.

ثانياً: محاولات طمس الأصول الثقافية والحضارية للأمة العربية:

إن هذه المحاولات تعددت وتنوعت أساليبها وإشكالها وتلونت بتلون الظروف التي صاحبتها، واتبعت في ذلك سبل مدروسة لعلها تحقق المبتغى ومن هذه المحاولات هي[59]:

أ) التشكيك بمصادر الأصول الثقافية الإسلامية: لقد كان هم الغرب التشكيك بمصادر الثقافة الإسلامية ومضمونها، والتي قوامها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهما المصادر الأساسية للإسلام فوجهوا سهام العداء إليهما من اجل ضرب الإسلام نفسه، وفي هذا فال لورنس براون: "إن الخطر الحقيقي كامن في النظام الإسلامي، وفي قوته على التوسع والإخضاع وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار"[60] فقد قالوا أيضاً: "متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، ويمكننا حينئذ أن ندرك إن الغربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه"[61]، وبهذا حدد الغرب هدف حملته على الإسلام وشخصه، فقالوا عن (القرآن الكريم) الكثير، مثيرين حملة من التشكيك حوله فقالوا: "أنه ليس من كلام الله ﷻ، وإنما هو من تأليف محمد جمعه من ثقافات اليونان والرومان والهند وفارس"[62]، ولما كان محمد ﷺ من نزل عليه القرآن الكريم وصاحب السيرة، عندها وضعوا نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام في مواجهة سيد المرسلين محمد ﷺ فقالوا[63]: "إن عيسى لم يخطئ قط بينما ارتكب محمد عدداً من الأخطاء، عاتبه عليها ربه في القرآن"[64]، لا بل ذهبوا إلى ابعد من ذلك، إلى الإساءة إلى

رسول الله ﷺ بقولهم: "إن محمداً كان في الحقيقة عابد أصنام، وذلك لان إدراكه لله في الواقع (كاريكاتوري) ولم يفهم النصرانية ولم يكن في خياله منها إلا صورة مشوهة بني عليها دينه"[65]، كما أثاروا الحملة على تعدد زوجات سيدنا محمد ﷺ، وسكتوا عن تعدد زوجات أنبياء الله داود وسليمان صلوات الله عليهم، لأنهم زعموا أن داود وسليمان أنبياء لهم، وأحبوهم كونهم أقاموا لهم على حد زعمهم مملكة كبيرةً في فلسطين، وزعموا أن التشريع الإسلامي مقتبس من القوانين الرومانية، وإن التراث الفكري الذي خلفه فقهاء الإسلام وعلماؤه وأدباؤه ما هو إلا مزيج من الثقافة اليونانية والهندية والفارسية ... إلى غير ذلك، من الشبهات والمفتريات التي يثيرها ويبذلها رجال الثقافة الغربية في وجه الثقافة الإسلامية، للقضاء عليها وإبعاد المسلمين عنها، تمهيداً لقبولهم بأية ثقافة قادمة من خارج الحدود.

ب) زعزعة الثقافة الإسلامية: بعد التشكيك بأصول الثقافة الإسلامية استدار الغرب إلى زعزعة تلك الثقافة في نفوس أتباعها، وذلك لإيجاد خروقات في حصن الثقافة الإسلامية، مما يسهل دخول الثقافات الأخرى للساحة العربية الثقافية فتعبث بها كيف تشاء، لقد صوبت السهام أولا إلى اللغة العربية من كل جانب، ولم تعد هذه اللغة شيئا يعتز به المسلم العربي كما كان من قبل، بل أصبحت معرة يسارع الإنسان إلى الانسلاخ منها، ويمعن في العيب فيها، ولم يكن بد من أن ينتقل هذا الأمر من اللغة ذاتها إلى ما هو مكتوب بتلك اللغة، فالمكتوب هو تراث الأمة كله وعلى رأسه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والمطلوب يتمثل بصرف أنظار وقلوب المسلمين عنهما وهذا هو الهدف، إن اللغة العربية لها من الأهمية بمكان من التراث وتخطيها بالإهمال يعني زعزعة كل ما كتب بها في نفوس أبناء الأمة العربية[66]، ولعل الهدف المركزي للاختراق الثقافي الذي تتمحور حوله ثقافة الغرب، هو خلق حالة من التقبل لنمط الثقافة الغربية، ونشر مبادئها ومفاهيمها في إطار المجتمع العربي والإسلامي، وفي أوساط المثقفين على وجه الخصوص، من اجل النيل من خصوصية الثقافة الإسلامية، وتدمير هويتها[67]. ففي واقع الحال إن الثقافة الغربية في صراعها مع الثقافات القومية للأمم الأخرى، تستخدم نمطاً ايدولوجياً للاختراق يقوم على نشر وتكريس جملة أوهام تنتظم على أساسها مكونات الثقافة الإعلامية الجماهيرية الغربية، ومحصلتها النهائية في الجانب العربي زعزعة الثقافية الإسلامية في

نفوس المسلمين وعندها التخلي عنها والإقبال على غيرها.

ج) اختراق الثقافة الإسلامية: يعمل الغرب على الدوام على اختراق الثقافة الإسلامية، تمهيدا لإفراغها من مضمونها، وإذا ما تم ذلك يسهل إذابة مضمونها بشكل كلي، وعندها يتم إجبار المسلمين على تبني النموذج الثقافي الغربي، بعد أن يكون الغرب قد عظم القيم الثقافية الغربية، وهمش الثقافات والقيم الإنسانية الأخرى، عن طريق المؤثرات الدولية ووسائل الإعلام المختلفة التي تقدم نماذج زائفة للغرب المتحضر، وفي نفس الوقت تقلل من قيمة وحضارة وثقافة الشعوب الأخرى، وتظهرها على أنها متخلفة، وإن المستقبل دائما للقيم والتكنولوجيا الغربية[68]، وهكذا تشهد الساحة الثقافية العربية والإسلامية محاولات عبر وسائل الإعلام والدعاية المتطورة، ونجاحات في الترويج للنموذج الغربي وتقديمه إلى الأوساط الثقافية العربية والإسلامية كنموذج عالمي للثقافة، الأمر الذي فتح الأبواب مشرعة أمام صراع الاستيعاب والإذابة من جانب الثقافة العالمية والخصوصية والاستقلال من جانب الثقافة العربية الإسلامية.

د) فرض التبعية على الثقافة الإسلامية: مما لا شك فيه إن التشكيك بمصادر الثقافة الإسلامية، ومن ثم زعزعتها واختراقها، تأتي بعدها مرحلة فرض التبعية على هذه الثقافة للثقافة الغربية، ولما كانت اللغة العربية هي المقوم الأهم لهذه الثقافة، فقد لجأ الغرب إلى ضرب هذه اللغة بكل وسيلة لقلعها من على السنة الناطقين بها، فمثلا جعلوا من مترجمي العلوم يشكون من أن اللغة العربية لغة غير علمية، وإن صلحت للأدب – أي الأدب الرديء– فإنها لا تصلح للعلم فهي جامدة ومعقدة ومتخلفة، ولابد من اتخاذ اللغات الأجنبية وبالذات اللغة الإنجليزية، لدراسة العلوم ونعلمها لأبنائنا في المدارس، إذا ما أردنا أن يكون لدينا في يوم من الأيام علماء، ومما ساعد على فرض التبعية من جهة أخرى، التخلف الحضاري للأمة الإسلامية منذ القرن الرابع عشر الميلادي، حيث انتقل مشعل الحضارة إلى الغرب، فمع ظهور الثورة الصناعية وثورة المعلومات والاتصالات في السنوات الأخيرة، حملت هذه الثورة إلى العالم منجزات ومخترعات في شتى العلوم والمعرفة، وظهرت معان جديدة ومصطلحات باللغات الأوروبية، وأصبحت لغة التدريس في البلاد الإسلامية سواء بالمدارس أو الجامعات باللغة الانجليزية أو الفرنسية، وارتبطت الجامعات الإسلامية بعجلة الثقافة الأجنبية في التدريس والتأليف، وهكذا سارت الثقافة الإسلامية خلف

الثقافات الغربية تلتمس خطاها[69]، فعلى الرغم مما صبه الاستعمار الغربي من بطش وتنكيل على العرب والمسلمين، ومما انزله من ضروب الفتن، وما دمر من حكوماتهم واحتل أراضيهم وسرق خيراتها لصالح حضارته، إلا إن هذه الإعمال الإجرامية كلها لا تساوي ظلماً ارتكبه الاستعمار الغربي حين فرض على العرب والمسلمين أنظمته التربوية الحديثة الغربية، وصرفهم عن معتقداتهم وتقاليدهم، لقد حاول بهذه الطريقة، أن ينشىء فيهم أجيالاً تتنكر لشخصيتها العربية والإسلامية وتقتنع بتفاهة ثقافتها الغربية، بعد إقناعهم أن نظامها الحياتي العربي والإسلامي أصبح لا يجاري تطورات الحياة، وهذا في حد ذاته فرض تبعية الثقافة العربية والإسلامية للثقافة الغربية.

ه(الذهاب بالهوية الإسلامية: إن ما سبق من خطوات كان تمهيدا للذهاب بالهوية الإسلامية، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي في بداية التسعينات من القرن الماضي، احتكم العالم لما يسمى بالنظام العالمي الجديد، فأصبحت الثقافة الإسلامية في مواجهة الأخطار، بعد أن هيأ مفكرو الغرب لذلك في مقالاتهم التي نشروها، فهذا "فرانسيس فوكاياما" يعتبر الديمقراطية الليبرالية قد انتصرت، وهذا الانتصار يشكل نهاية التاريخ[70]، ثم جاء "صمويل هنتجتون" بنظرية "صراع الحضارات"، والتي ترى بأن النظام الدولي الجديد يقوم على صراع ثماني حضارات هي: الغربية واليابانية والكونفوشيوسية والهندوكية والأمريكية اللاتينية والأرثوذكسية السلافية والحضارة الإسلامية إضافة إلى الحضارة الإفريقية[71]، وقد أبدى هنتجتون مخاوفه من أن العداء للغرب يجمع بين الإسلام والكونفوشيوسية، الأمر الذي يشكل خطراً للحضارة الغربية ولقيمها الإنسانية، لذا دعا على وحدة الغرب أولاً في مواجهة الخطر الإسلامي، من هنا أصبحت الهوية الإسلامية في دائرة الاستهداف، وهذا ما يبرر دعوة الرئيس الأمريكي "بوش الابن" في وصفه للحرب التي يشنها الغرب على بلاد المسلمين بالحروب الصليبية أو الحرب على الإرهاب سواء في أفغانستان أو العراق أو الباكستان وتأييد دولة الكيان الصهيوني في فلسطين، بضربها للحركة الإسلامية هناك، على اعتبارها حركة إرهابية، وتشكل خطر على الحضارة الغربية وقيمها الإنسانية، لكون هذه الدولة النموذج الغربي في المشرق العربي.

ثالثاً: العبث في استقرار النظام الإقليمي العربي:

لجأ الغرب إلى عدة طرق للذهاب باستقرار النظام الإقليمي العربي لتمكين نفسه

من منطقته، وقد ذهب في هذا التوجه إلى إتباع أسلوبين الأول انصب على النظام العربي، والثاني على هوية هذا النظام، وكان ذلك على النحو الأتي:

1) تهميش النظام الإقليمي العربي: وتتمثل عمليات التهميش بما يلي[72]:

أ. **فرض الهيمنة الغربية على النظام العربي:** إن تطلعات الهيمنة الغربية على النظام العربي قديمة قدم الاستعمار نفسه، فبالأمس البعيد كانت الحروب الصليبية والتي برر لها الغرب بضرورة تخليص القبر المقدس من أيدي المسلمين الهمج في الشرق، وبالأمس القريب أيضاً كانت "سايكس – بيكو" الاتفاقية القائمة على تقسيم منطقة النظام الإقليمي العربي عام 1916م، وما الاتفاقية إلا فرض للهيمنة الغربية في أبشع صورها، واليوم وفي أول مطلع القرن الحادي والعشرين جاء الدور الأميركي ليفرض نفسه على الساحة الإقليمية العربية، وكان ذلك من خلال تطور مراحل أزمة الخليج الثانية (1990م)، وقيام الولايات المتحدة مستغلة لهذا الحدث بنشر قواتها العسكرية و بأعداد ضخمة في المنطقة، وخاصة في الطرف الشرقي للوطن العربي، بحجة تنفيذ مقررات الشرعية الدولية والتي جوهرها قرارات الأمم المتحدة بحق العراق[73]، والحفاظ على الأمن الوطني للدول الحليفة في منطقة الخليج، وتبرز هذه الهيمنة باستخدام القواعد الأميركية في تركيا ضد الوطن العربي، ناهيك عن التعاون الأميركي–الصهيوني من خلال دولة يهود القابعة في قلب الوطن العربي، والقواعد الأميركية الأخرى في المحيطين الأطلسي والهندي ومياه البحر الأبيض المتوسط، إن لهذه الهيمنة اثأرا سياسية سلبية حلت بالوطن العربي، وفي مقدمتها الخوف والرهبة من الولايات المتحدة وبالتالي زيادة الاعتماد العربي عليها، والقبول بما تمليه الولايات المتحدة من سياسات[74]، ومظاهرها التدخل في الشؤون الداخلية لدول المنطقة، وتبني دول الإقليم وجهات النظر الأمريكية في كل القضايا الدولية وحتى على المستوى الإقليمي العربي ولو تعارض ذلك مع المصلحة القومية العربية، وإلا تسقط أمريكا الأنظمة والتهم لذلك معدة مسبقاً.

ب. **إذكاء ظاهرة العنف وزيادة حدة التسليح:** إشعال نار الفتن والخلاف شأن غربي محض، وذلك لتأجيج ظاهرة العنف على المستوى الوطني داخل الدولة القطرية، وعلى المستوى القومي العربي، وهذه نابعة من مقولة فرق تسد، فعلى المستوى

الوطني لعب الغرب بورقة الاثنيات، وعلى المستوى القومي لعب بورقة الجوار، فثارت الفتن في ظل غياب الوعي، كان من شأن ذلك زيادة عمليات التسليح بين الإطراف في الداخل، وكذلك بين الدول التي المتجاورة، فأقبلت على شراء السلاح الغربي، وذلك من قبيل الاحتياط والاستعداد لأية مفاجأة، ولم يترك الغرب أية فرصة إلا واستغلها لصالحه، فمثلا عندما دخل العراق الكويت، قام بحملات تخويفية للأنظمة العربية المجاورة من العراق، وكذلك قام بالتهويل الإعلامي من الاستعدادات والقوة العسكرية العراقية الضاربة، واستغل تصريحات بعض قادة العراق، كل ذلك أدى إلى زيادة الطلب على السلاح الغربي، وهذا له انعكاسات ايجابية على الغرب تمثلت بزيادة نمو اقتصاده، والقضاء على البطالة المتفشية بين صفوف أبنائه، وإشباع الرغبة الرأسمالية الجامحة للهيمنة المالية على مقدرات الأمة العربية، ولا ننسى إن الكيان الصهيوني هو المستفيد الأول، لان زيادة التسليح في ظل فرض أي تسوية للصراع العربي – الصهيوني، يتحول الصراع إلى صراع عربي – عربي، وتطلق يد العنان للكيان الصهيوني لامتلاك إحداث الأسلحة وفي مقدمتها التدميرية[75]، يجعل من هذا السلاح العربي معد لاستخدامه ضد أبناء العروبة يعضهم لبعض، وهذا ما نلمسه حقيقة عندما وجه هذا السلاح الغربي المستورد للعربي ضد العربي في حرب التحالف الخليجية، إن استمرار زيادة التسلح يؤدي أيضاً، إلى تزايد معدلات العنف في الوطن العربي، سواء داخل حدود الدولة القطرية العربية مثل: الحركات الإسلامية في كل من مصر والجزائر وبلاد المغرب العربي، واقتتالها مع السلطة السياسية هناك، وبين الأقطار العربية المتجاورة في ظل غياب آلية صحيحة لتسوية المنازعات الحدودية، والتي قد تسبب حربا بين البلدان العربية المتجاورة، ومن أمثلة هذه المنازعات[76]: النزاع القطري – البحريني، والنزاع السعودي – اليمني، والنزاع السوداني– المصري، والنزاع العراقي – الكويتي، ومن أمثلة الحروب حرب الصحراء الغربية التي سممت حقل العلاقات المغربية، وأما أمثلة الحروب الداخلية كالحرب الأهلية في لبنان والعراق والسودان ... الخ.

ج. **اللعب بورقة الجوار الإقليمي للوطن العربي:** سعت الدول الغربية إلى تسميم العلاقة العربية مع دول الجوار للنظام

الإقليمي العربي، وذلك لتحقيق هدفين هامين هما: استبدال علاقة حسن الجوار بعلاقة متوترة عنوانها التوجس والخفية، وجعل الغرب الجهة التي تتجه إليه أنظار العرب لمؤزرة مواقفها في أي صراع محتمل[77]، أن القوى الإقليمية المحيطة بالعالم العربي لديها كما للعرب ما يبرر الصراع المستقبلي بينهما، لقد اتخذ الغرب من اختلاف المصالح والتباين القومي والمذهبي، وسيلة لتأجيج الصراع بين العرب ودول الجوار، حيث جعل من تركيا وإيران أعداء للعرب، وبالمقابل جعل العرب أعداء لتركيا وإيران، في حين وضعت إثيوبيا كلاً من تركيا وإيران والعرب في كفة واحدة، ألا وهي كفة الأعداء على اعتبارها جميعاً دول إسلامية، في حين تعتنق إثيوبيا المذهب النصراني، لقد شجع تركيا في تبني دور عدائي للأمة العربية تلك القيود التي تواجهها تركيا في حركتها صوب أوروبا، لكونها تطمع في الانضمام لرابطة الجماعة الأوروبية، والتحالف التركي مع الدولة اليهودية في فلسطين، واللعب في المياه العربية الدولية ذات المنابع التركية، وشجع هذا العبث قيامها بإنشاء السدود وقطع مياه الفرات، وتدني نسبة تدفقه[78]. وأما إيران فالجزر العربية طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى مثار جدل في السيادة عليها مع الجانب العربي، وكذلك السيطرة على مضيق هرمز وسير الملاحة فيه, وأما إثيوبيا فالنزاع على إقليم اوغادين الصومالي، والعبث في مصادر مياه النيل، والعمل على تحويل البحر الأحمر إلى بحيرة إثيوبية، والتحكم في سير الملاحة فيه[79]، كما أن التعاون الإثيوبي مع عدو الأمة الكيان الصهيوني قي فلسطين، كل ذلك اقلق ويقلق العرب من جميع النواحي، وربما كانت كلها أو واحدة منها محور للصراع بين دول الإقليم والعرب، إن العرب اليوم يرون أن العبث في أمنهم القومي والمائي والغذائي أصبح من الأمور الاعتيادية من قبل دول الإقليم، في ظل غياب قوتهم وخشيتهم من دول الجوار الإقليمي بسبب تعاظم قوتها ودعم الغرب لهذه القوى.

د. **تعميق أزمة النظام الإقليمي العربي:**

قبل انفصال المنطقة الغربية عن جسم الإمبرطورية العثمانية، والغرب يعمل على تأزيم المنطقة العربية من كل جانب: السياسية والاقتصادية والاجتماعية، تحقق ذلك كله في إنشاء الدولة القطرية العربية والتي تعني تجزئة المصلحة العامة العربية

إلى عدة مصالح، وصناعة عددا كبيرا من الدول القطرية في الكيان العربي، فتجزاءت مصلحة الكل إلى عدة مصالح عرفت كل منها باسم المصلحة الوطنية، وقدمت هذه المصلحة على المصلحة القومية العربية، وباختلاف مصالح كل دولة قطرية وتباينها مع شقيقتها الأخرى، أدى هذا إلى ولادة أزمة قطرية بين كل قطر عربي وآخر[80]، إن أزمة الخليج الثانية عمقت هذه الأزمة بين ما عرف بدول التحالف ودول اللاتحالف، وأعيدت المبادئ القومية والتي عنوانها التعاون العربي إلى نقطة الصفر، وأصبح لكل دولة شأن آخر لا يعنيها شأن الدول الأخرى، إن مظاهر تعميق أزمة النظام العربي تتجلى فيما يلي: قيام الغرب بإعادة تجزئة التجزئة العربية التي بدأت باتفاقية سايكس– بيكو عام 1916م، والحيلولة بين العرب حتى لا يصلوا حتى إلى الحد الأدنى من التعاون والتضامن العربي، وتعطيل أعمال مؤتمرات القمة العربية، وإن عقدت في وقتها فيكون الحضور في ظل غياب الكثير من الزعماء، حيث يستبدل القادة مكانهم بالتمثيل غيرهم، وبالتالي تأتي قراراتها يعوزها التنفيذ، وتعطيل قرارات جامعة الدول العربية إذا ما تعارضت مع المصلحة القطرية للدول الأعضاء[81]، والذهاب إلى المحكمة الدولية لحل المشاكل العربية، كما حدث مع دولة قطر ومملكة البحرين، وتعزيز المقاطعة العربية لمصر بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد، مما سهل أمر التطبيع أمام دولة الكيان الصهيوني في فلسطين، ودفع بالشباب المصري للتوجه إلى ذلك الكيان للعمل هناك، وتزوج أعدادا منهم بيهوديات، مما زاد في أعداد اليهود على اعتبار ابن اليهودية يهودي، كل ذلك كان بمثابة خلخلة للنظام الإقليمي العربي، وتصديع لجدرانه بفعل عربي خالص.

هـ. **التحيز الدائم لأعداء النظام الإقليمي العربي:** إن الأمم المتحدة أصبحت أداة من أدوات الغرب السياسية، وخاصة عندما تم حصر حق الفيتو بالخمس الكبار، أدى ذلك إلى اتخاذ قرارات تتفق ومصالحها ومصالح أعداء العرب وخاصة إسرائيل، حيث أن الولايات المتحدة كانت الدولة الأكثر استخدامنا لهذا الحق، فقد استخدمته أكثر من ثمان وثلاثين مرة لصالح دولة الكيان الصهيوني هذا من جهة، وتطبق كل قرار يصدر ضد العرب من قرارات من جهة أخرى، ففي الوقت الذي فرضت الحصار الدولي على كل

من ليبيا والسودان والعراق، لم تطبق ولو قراراً واحداً من القرارات الدولية على الكيان الصهيوني، وفي الوقت الذي أقامت الدنيا ولم تقعدها على حادثة طائرة لوكربي، لم تحرك ساكناًًًًًًًًًًًًًًًً عندما قامت إسرائيل بإسقاط الطائرة الليبية في شباط عام 1973م، وقتلت جميع الركاب وعددهم (104) أشخاص، كما وصفت الغارة على تونس في تشرين الأول عام 1985م من قبل الرئيس الأمريكي ريغان بأنها عمل شرعي[82]. وترى بكل صاروخ يسقط على دولة الكيان الصهيوني بعد كل حادث اغتيال أو تدمير لمنزل فلسطيني عمل لا شرعي، إن هذا التحيز له أسبابه والتي منها[83]: النفوذ الواسع للوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، واقتناع الغرب عقائديا بضرورة دعم إسرائيل، على اعتبار قيامها ما هو إلا تحقيقا لوعود التوراة، تلك الوثيقة التي يؤمن بها الغرب بنفس الإيمان التي يؤمن بها اليهود.

2) تبديد أواصر قومية النظام الإقليمي العربي:

يمتاز النظام الإقليمي العربي عن غيره من الأنظمة الإقليمية الأخرى، بعدة ميزات ذات أبعاد قومية، مما تكسبه قوة إذا ما تم استغلالها على الوجه الأكمل، ولتقويض معاني قوة هذه الميزات فقد لجاء الغرب إلى خطوات ذات أبعاد مرحلية تتمثل بما يلي:

أ. **تهميش وتمزيق الهوية القومية العربية:**

إن التهميش والتمزيق يتم من خلال الاختراق الثقافي للعالم العربي، فثقافة أي امة من الأمم ما هو إلا مخزون تراثها ورمز هويتها التي تعرف بها بين الأمم، فإذا ما تم الاختراق الثقافي الغربي للثقافة العربية يعني فتح الباب للعبث بمقوماتها القومية وبالتالي الذهاب بهوية النظام الغربي، ففي ظل غياب أي وعي بأهمية الأبعاد القومية وخاصة الثقافية منها، في حسم العقبات المتشبعة التي تحول دون التماسك الثقافي لسلامة اللغة والموروثات العربية، وفي ظل عدم إدراك صناع القرار السياسي في الوطن العربي، للأهمية التي تحدثها الثقافة في تشكيل المواقف الوجدانية والفكرية التي تخلق وحدة الموقف القومي والفكري العربي، والذي يعتبر نواة الوحدة العربية والتماسك الثقافي والحضاري لهذه الأمة[84]، أدى ذلك إلى تبني سياسات أجنبية، كالسير في ركاب الغرب نتيجة ارتماء الدول العربية بأحضان الغرب، وهذا بدور يتطلب العمل بالمنهج الغربي في العادات والتقاليد

ونظام المعيشة ونظام الأسرة ... الخ. وبدوره يؤدي إلى مزيد من القطرنة والتي تتنافى مع ابسط قواعد الفهم القومي العربي، الباحث عن الوحدة عبر مسيرة تاريخه الطويل، وبعني التخلي عما يجمع هذه الدولة العربية مع تلك، هذا الجامع هو العروبة عنوان الهوية التي تعرف بها الأمم والشعوب والدول، فإذا مزق ثوب الهوية ذهبت الأمم أدراج الرياح، ومزقت الشعوب إلى إثنيات متباغضة فيما بينها، وسقط قناع الدول الذي يحفظ ماء وجهها وعندها يبين وهنها.

ب. **استبدال ما هو قومي بما هو عالمي:** وهذا يعني ببساطة أن يتم إسقاط كل مظهر قومي يربط دول الإقليم العربي بعضها ببعض، بعد تهميش الهوية القومية للنظام الإقليمي العربي وتمزيقها، ولتكون المعاملة فيما بين دول الإقليم كتلك المعاملة التي تجري بين أي دولتين من دول العالم، وهذا ما تدفع إليه الدول الغربية من خلال سعيها إلى تحقيق حرية التجارة الخارجية، وحرية تدفق رأس المال، وهذه تتطلب شروط أهمها: وضع الخصخصة موضع التنفيذ، والعمل بحرية الأسواق الداخلية، وانتشار وتعميق ثقافة السوق، ومما يسهم في تحقيق ذلك اختصار المسافات بسبب ثورة الاتصالات والمواصلات كشبكات الانترنت والأقمار الصناعية وشبكات التلفزة والإذاعة والهواتف الارضية والنقالة[85]، ولما كانت الإطراف غير متكافئة بين دول الغرب والدول العربية، فهذا سيؤدي إلى تكريس التخلف والتبعية العربية للدول الغربية، مما يعني استعماراً جديداً تفتح الدول العربية أحضانها له طواعية وعن طيب خاطر، وهذه يعني جعل الدول العربية تتبع دول رأس المال الغربي، وتوثيق صلاتها مع تلك الدول، وفي اعتقادنا أن الغرب سينجح في مسعاه إذا ما بقي الوعي الغربي في تغييب، وذلك بسبب ما تتمتع به الدول الغربية من تقدم مقارنة بالواقع العربي المتخلف، وهذا يجعل دول الإقليم العربي في حالة تلقي، وبسبب الحالة النفسية التي تتملك الضعيف وتدفعه إلى تقليد القوي والأخذ عنه.

ج. **استبدال النظام الإقليمي العربي بنظام شرق أوسطي:** وهذا يعني إزاحة النظام الإقليمي العربي، بعد أن تكون قد وهنت مقوماته القومية، مما يسهل إحلال النظام الشرق أوسطي بدلا منه، وهذا يهدف إلى إعادة رسم المنطقة العربية جغرافيا

وسياسيا واقتصاديا، كما يهدف إلى إقامة ترتيبات أمنية وسوق مشتركة إقليمية، لخدمة المصالح الغربية وإسرائيل ممثلة النموذج الغربي في المنطقة، واستبدال الجامعة العربية بجامعة شرق أوسطبة تحتل إسرائيل مقعدا دائما فيها، وإخراج الدول العربية الواقعة في الجانب الغربي من الوطن العربي منها، لأنها ليست بالمشرقية[86]، إن هذا يعني إدخال ما هو غير عربي في النسيج العربي، وإخراج ما هو عربي خارج هذا النسيج، وهذا يدخل في إستراتيجية الغرب القائمة على تمزيق الهوية العربية، وإدخالها في نطاق الشرذمة، وهذا من شأنه التسهيل على الغرب الاستحواذ والسيطرة على المنطقة العربية والاستعلاء على كل ما تحمله أرضها.

المطلب الرابع
المواجهة العربية الإسلامية للنزعة الاستعلائية الغربية

لا بد من تحصين الشعوب العربية والإسلامية لمواجهة النزعة الاستعلائية التي تمكنت من الغرب وتأصلت في بنات أفكاره، لان المخاطر المحدقة بالثقافة والحضارة والأرض العربية والإسلامية كبيرة، وما ينتظر الأنظمة العربية السياسية، والمسيرة القومية، والحركات الإسلامية في العالمين العربي والإسلامي، اكبر بكثير مما هو متوقع، كنتيجة لهذه النزعة الاستعلائية الغربية، إن هذا يجعل من مسألة مواجهة هذه الظاهرة ضرورة لا مناص منها، تستوجب التحسب الدقيق والمكثف لتحدياتها وانعكاساتها وتأثيراتها الآنية والمستقبلية أيضاً، ومبعث هذا التحسب يتأتى عن طبيعة القوى التي تقف وراءها ومعاداتها الصريحة والعلنية للأمة العربية والإسلامية[87]، وتنبع ضرورات المواجهة العربية والإسلامية لظاهرة النزعة الاستعلائية، من ضرورات الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية للمنطقة العربية وشعوبها معا، وصيانة خصوصيتها الذاتية، كونها احد الوسائل المهمة التي تعبر عن شخصية الأمة، وبقدر ما تشكل عملية حماية الثقافة العربية والإسلامية والتي هي عنوان الهوية مهمة إنسانية جوهرية، في التصدي لسيادة الثقافية الغربية، فإن ذلك ينعكس إيجابيا على التطور الحضاري الإنساني، ويدعم التفاعل الحضاري والثقافي بين الأمم والشعوب، ولمواجهة الاستعلاء الغربي وصيانة الخصوصية الثقافية للأمة، لابد من الأخذ بمهمات أساسية تربوية، عليها يؤسس النشء تنشئة سليمة، وهي السبيل لتصحيح الذات العربية والإسلامية، وأما من تقوم بذلك، ولتكن أعلى هيئة في الأمة تعطى

السلطة الكافية، فعلى مستوى العالم الإسلامي منظمة المؤتمر الإسلامي على سبيل المثال، وعلى المستوى القومي العربي جامعة الدول العربية، بعد أن يكون قد أعيد النظر في ميثاقها، ليرتقي ومستوى المواجهة، ويمكننا بيان هذه المهمات وما يتعلق بتصحيح الذات بالتالي:

أولاً: المهمات الأساسية للمواجهة: هناك مجموعة من المهمات التي على أهل الفكر العربي والإسلامي الأخذ بها، وتلقينها إلى النشء حتى يشبوا عليها، وتكون بمثابة حصن لهم منيع من الزيغ وحتى لا تنطلي عليهم خطط الغرب الماكرة، وهذه المهمات الأساسية هي(88):

1. تحصين النشء بالثقافة العربية الإسلامية وذلك عن طريق تزويده بعقيدة صحيحة، تجعله معتزاً بها فخوراً بمبادئه، متمسكاً بتعاليمها، خاضعا لخالقه، مستسلماً له في كافة الأمور والأحوال، عندها سيُرسي فواعد الإيمان في الأرض، ونتيجة التسلح بالإيمان يكون عندها قادراً على التصدي لخصومه ورد تحديات المغرضين وإبطال حججهم، ونقض آرائهم ومحاربة أفكارهم، وهي طريق مقارعتهم الحجة بالحجة الدامغة من غير تطرف، أن العقيدة الصحيحة تجعل المسلم ذا فكر مستنير قادراً على الربط بين الحاضر والماضي، ماضيه المجيد الذي يستشرف منه السبيل إلى التقدم الإنساني نحو بناء حضارة الإنسان، ويسلحه بالفكر الواعي، ويطبعه بطابع مميز أصيل قادر على مواجهة التيارات المعادية للإسلام، والتي ما برحت ترسم خططها وتنفث سمومها وتجمع مكائدها وتبث مكرها، لتشويه الفكر العربي والإسلامي وإبعاد العرب والمسلمين عن ثقافتهم العربية والإسلامية الحقة، لتحل محلها ثقافة مستوردة من خارج الحدود هذه المرة هي الثقافة الغربية بكل ما تحمله من مخاطر على هوية المنطقة العربية وشعوبها، وأنظمة دولها السياسية.
2. إدراك التناقضات وفهمها التي تكتنف ظاهرة النزعة الاستعلائية، وما تطمح إليه من سيادة للثقافة الغربية، وكشف الزيف الذي تستتر خلفه قواها، وبقدر ما تبدو هذه المهمة إمام المثقفين مهمة إنسانية يمكن تأديتها عبر التفاعل مع مثقفي الأمم الأخرى وخاصة مع مثقفي الأمم التي تجهد إلى تسويق الثقافة الغربية(89).
3. تأكيد الهوية العربية والعقائدية الدينية للثقافة العربية والإسلامية وتنميتها عن طريق تفعيل الموروث العربي و الدين

الإسلامي في شتى مناحي الحياة، وبروح بعيدة عن التزمت والإفراط لكون النموذج الثقافي الاستعلائي الذي يروج إليه الغرب لا يرضى إلا بطمس الهوية الثقافية عند الأمم الأخرى(90).

4. إثبات وتطوير الخصوصية الذاتية للثقافة العربية والإسلامية، وتعزيز تميزها عن الثقافات الأخرى، من خلال تنشيط التفاعل والتفاعل الثقافي العربي والإسلامي مع ثقافة الأمم الأخرى، إذ أن منطق الحوار هو المنطق الوحيد الذي يسمح باستمرارية الوجود مع الإبقاء على التمايز.

5. جعل العلوم الدينية والتاريخ العربي الإسلامي أساساً للتعليم في كافة المراحل، وخاصة المرحلة الأساسية (الإلزامية)، مع الحرص على وضع مناهج تعليمية مكتوبة بأقلام حريصة كل الحرص على الثقافة العربية الإسلامية، وعدم إرسال البعوث إلى الدول الأجنبية إلا من بين المتحصنين ثقافياً، الذين نهلوا من الثقافة العربية الإسلامية ما قوى وازعهم الإيماني، وذلك من أجل ضمان عدم زيغهم، وعدم انطلاء الأفكار الماكرة عليهم، عندها يعودون وهم يحملون الجديد من الأفكار، ويتركون تلك التي لا تعود بالخير على أمتهم.

إن ما سبق يؤدي إلى تلاقي الأفكار العربية لأبناء الوطن العربي، مهما تعددت القطريات السياسية في هذا الوطن، كما تتلاقى أفكار العرب بأفكار المسلمين في كل أصقاع الدنيا، هذا التلاقي يؤدي إلى قيام الوحدة العربية، والتي تعد بمثابة المقدمة لقيام الوحدة الإسلامية، وباجتماع المسلمين عرباً وعجماً معا يعني القوة والمنعة، وفي القوة والمنعة تهاب حدودهم ويخشى الأعداء سطوتهم، ويعترفون طواعية، أو رغم أنوفهم بحقوق المسلمين وعدم الاعتداء عليهم.

ثانياً: تصحيح الذات العربية والإسلامية: إن الإشكالية الأساسية التي تواجه العرب والمسلمين تتمثل بالتقليد الأعمى للغرب، وهذا مرده إلى الانبهار بالحضارة الغربية، حيث أنهم قد اخذوا يلهثون وراء معطياتها البراقة، ويأخذون منها الغث والسمين حتى ولو تعارض مع قواعد الشرع الإسلامي الناظم لحياتهم، الأمر أورثهم ضبابية في الرؤية فجهلوا عندها مصالحهم، وأصيبوا بحالة عظيمة من التردي وهذه حالهم اليوم طمعت بهم اضعف الأمم، لذا يجب إن يكون لهذا التصحيح الأولوية قبل الحديث عن كيفية إصلاح الصورة العربية والإسلامية في الغرب، فالأصل هو "الأصل"، ومن يستخدمون "الصورة المشوهة" يستندون أيضاً

إلى تشوهات قائمة في "الأصل نفسه"، ولان العرب هم قادة العالم الإسلامي، ولأن تقدمهم وخيرهم هو تقدم وخير لكل العالم الإسلامي، كما يؤكد ذلك التاريخ الماضي، فالأولى بالعرب اليوم تصحيح واقعهم وحسم الانتماء إلى هويتهم الثقافية العربية ومضمونها الحضاري الإسلامي[91]. ولابد إن أراد العرب ذلك من العودة إلى المناهج التعليمية، وتنقيتها من كل شائبة، وتحت إشراف خبراء عرب أصحاب عقيدة سليمة، عرفوا بالصلاح والفلاح بين الناس، وفق منهجية سليمة، تراعي مستويات الدارسين، ليتم إنشاء أجيال تعي متطلبات المرحلة التي يعيشونها والمراحل اللاحقة.

وقبل إن نودع الظاهرة الاستعلائية الغربية لابد من القول: إن العلاقة بين الغرب والعرب علاقة عداوة والغرب في تعامله مع العالم العربي يؤجج هذه العداوة ويبعثها من مرقدها كلما خف وهيجها، لذا يحتاج من الأمة العربية والإسلامية إن تستدعي مثقفيها وعلماءها ومفكريها لرصد أهداف الغرب والتصدي لها من منظور المصالح العربية والإسلامية، وإن التعامل الغربي من منظور استعلائي، يعد قضية شائكة تتطلب التفهم الايجابي لبعض مكونات المصالح العربية، والاستفادة من التقنية أو الجوانب الاقتصادية الغربية والتي لا تتعارض مع مصالح الأمة المسلمة.

بقيت حقيقة هي منطلق هذه المحاولات والدعوات، كما أنها الضوء في نهاية نفق التحدي هي: إن الاستعلاء الَغربي وثقافته لن تهزم ثقافة العربي المسلم ثقافة الإيمان الحقيقي بالله، إيمان الغلام حين يستدعى للموت فيطلب الشهادة شريطة أن ينادي بِسَمْع الكون وبصوت عال ... "باسم الله رب الغلام" **﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**[92].

خاتمة الدراسة:

لقد أوصلتنا الدراسة إلى أن صورة التعامل الغربي مع العالم العربي، قائمة على أساس فكري منبعث من نزعة استعلائية قوامها حب السيطرة والهيمنة على الآخرين، لذا كان سعي قادة الرأي والسياسة في الغرب لخدمة هذا الفكر الاستعلائي ولا يزال. وان هذه الدراسة أوصلتنا إلى عدة استنتاجات استوجبت هي الأخرى توصيات وسوف نستعرض هذه على النحو الآتي:

أولاً: الاستنتاجات وأهمها:

1. إن الفكر الغربي قائم على خاصية التفرد، مما دفعه إلى رفض الآخر ورفض قيام أي حضارة تنافس حضارته.

2. إن هناك عوامل أخرى غذت هذا الفكر، كلما خبت خاصية التفرد وخف وهجها مثل: الاستشراق، والاستدمار (الاستعمار)، والغزو الثقافي.
3. إن نتائج الخاصية التفردية اتخذت عدة أساليب موجهة للعالم الإسلامي بعامة وللعالم العربي بخاصة منها:
   أ. العمل على طمس الأصول الثقافية والحضارية للأمة العربية.
   ب. اللعب في أوراق المنطقة العربية لتعميق أزمة النظام العربي مما يفسح المجال إلى هيمنة غربية دائمة على العالم العربي.
   ج. تفكيك النظام الإقليمي العربي وتمزيق الهوية العربية، والتي هي عنوان وجود العرب كافة ويعرفون بها بين الأمم.
4. إن الغرب لا ينفك عن استخدام كافة السبل في مواجهة ما يعترض طريقه، وهو ساع إلى الإبقاء على خاصية التفرد والاستعلاء، المميز الرئيس لفكره من ناحية النظرية والواقعية، لذا فلا يؤمن جانبه في كل سُبل التعامل التي يستخدمها مع العرب.

ثانياً: التوصيات: الاستنتاجات السابقة استوجبت ما هو آت:

1. الاهتمام بالأجيال القادمة تربويا، ويمكن ان نوظف هذه التوصية من خلال: إعداد مناهج علمية مدروسة، قادرة على تجاوز هفوات الحاضر ومحفزة للأخذ بزمام المبادرة للتحرر من كل تبعية، والخروج من نطاق كل هيمنة.
2. صياغة قواعد فكرية عربية وإسلامية مستوحاة من العقيدة الإسلامية والموروثات العربية لمواجهة تلك التحديات قوامها:
   أ. تحصين النشء بالثقافة العربية الإسلامية، وذلك بالعودة الجادة إلى كتاب الله وسنة رسوله.
   ب. تصحيح الذات العربية والذات الإسلامية، وذلك لتقديم الإسلام للأمم الأخرى، وخصوصاً للغرب المستعلي بثوبه الصحيح، الإسلام القائم على التسامح والسلام، والنابذ لثقافة العنف والتطرف.

وأما كيفية توظيف هذه التوصية فإننا نرى أنها تتحقق عبر الخطوات الآتية:

أ. **القدوة الحسنة:** أن تبدأ من البيت وتقتضي من الوالدين الالتزام بقواعد الشرع في حياتهم اليومية، وهذا يؤسس لحياة سوية للأجيال التي تربى على هذه الشاكلة، لكون الآباء عندها قدوة الذكور والأمهات قدوة الإناث.

ب. **التزام المربين في المدارس والجامعات بحسن الخلق، لكونهم في دائرة القدوة،**

والتركيز على ما يبعث الأمجاد في النفوس، من تاريخ العرب المشرق، والاستفادة من تجارب العرب التحررية، فعبد الحميد ابن باديس فقد حرر الجزائر بعد مائة وثلاثين عاما من الاحتلال، وذلك بعد أن غرس العقيدة في النفوس، ولوح بأمجاد العرب التاريخية، وإذ بالناطقين بالفرنسية أول الثائرين عليها.

الهوامش:

(1) ثابت عيد، **صورة الإسلام في التراث الغربي**، القاهرة: د.ت، 1999م، ص ص18، 25.

(2) جمال هدية، "لا يا رئيس ايطاليا"، **مجلة المجتمع**، الكويت، مجلد (68)، عدد (1478)، 2001م، ص4.

(3) عماد الدين خليل، وفايز الربيع، **الوسيط في الحضارة الإسلامية**، دار الحامد، عمان، 2004م، ص327-328. انظر أيضاً: بدر الدين عبدا لله حسن، **أثر الحضارة الإسلامية على النهضة الأوروبية**، فصل في كتاب: المشاريع المعاصرة للنهوض بالأمة الإسلامية، جرش، جامعة جرش، 2007م، ص ص177 -178.

(4) عبد الكريم عثمان، **رفض الآخر وأثره في واقع المسلمين**، ورقة مقدمة إلى مؤتمر حاضر العالم الإسلامي والمنعقد في رحاب جامعة جرش للفترة الواقعة بين (14-16) تشرين الأول، ص13.

(5) حمد القاضي، "العلاقات الإسلامية النصرانية"، **مجلة المنار**، الإمارات، العدد (188)، ص ص12-13.

(6) كاميل بزمان: سياسي بريطاني ينتمي إلى حزب الأحرار وتزعمه وترأس الحكومة البريطانية (1905-1908م)، مات بعد استقالة حكومته بـ(17) يوماً، وكان ذلك في 22 نيسان/ ابريل عام 1908م، محمد عوض الهزايمة، **الإيديولوجية والسياسة الخارجية**، رسالة دكتوراه دولة "غير منشورة"، جامعة تونس كلية الحقوق والعلوم السياسية، 1994م، ص86.

(7) يلاحظ إن هناك شمولية في تخصصات المدعوين للمؤتمر، وهنا يعني أن الدولة الراعية للمؤتمر تعمل على إنجاح العملية الاستعمارية من كل جوانبها.

(8) أمين النافوري، **إستراتيجية الحرب ضد إسرائيل والعمل العربي الموحد**، مطبعة طربين، دمشق، 1970م، ص ص48-49.

(9) موسى كاظم التونسي، **وثائق التدخل الأجنبي في الوطن العربي**، دمشق، د.ت، 1972م، ج1، ص ص47-48.

(10) أن الجهل عند الشعوب يعني سهولة تمرير المخططات والمؤتمرات وتنفيذها بنجاح وهو المناخ الملائم الذي يعيش فيه الاستعمار ويدوم طويلاً، وبدل من مقاومة الاستعمار يؤدي إلى التعايش معه وقبول إما يفرضه.

(11) أسعد رزوق، **إسرائيل الكبرى**، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، مركز الأبحاث، بيروت، 1968م، ص307.

(12) Howard, *Morley Sachar*, The Emergence of the Middle Eayt (1914 -1942) London: Allen Lance penguin: 1970 p158.

(13) محمد عوض الهزايمة، **حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة**، دار عمار، عمان، 1997م، ص ص48-49.

(14) محمد عوض الهزايمة، **الايديولوجيا والسياسة الخارجية**، مرجع سابق، ص99.

(15) أمين هويدي، **صراع القوى الخارجية ضدنا**، المستقبل العربي، بيروت، العدد (24)، 1981م، ص ص104-124.

(16) أحمد منصور، **قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد**، دار ابن حزم، بيروت، 1994م.

(17) أسمهان عقلان، **دور الأحداث التاريخية في صياغة الخطاب السياسي**، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الثالث "تحليل الخطاب العربي" والمنعقد في رحاب جامعة فيلادلفيا للفترة الواقعة بين 10-1997/8/12م، عمان، جامعة فيلادلفيا.

(18) حسن سلوم، **حاضر العالم الإسلامي: عوامل التخلف والنهوض**، بحث مقدم للمؤتمر الخامس "حاضر العالم الإسلامي"، والمنعقد في رحاب جامعة جرش، للفترة الواقعة بين 14-2002/11/16م، جرش، جامعة جرش.

(19) نبيل شعث، الهيمنة الأمريكية: الجذور التاريخية والعواقب المستقبلية، **مجلة المجتمع**، الكويت، مجلد (62)، العدد (1517)، 2002م، ص ص42- 47.

(20) صباح بغدادي، الشرق والغرب: وهم الحوار وحقيقة الصراع، مجلة المجتمع (الكويتية)، العدد (1631)، 2004م، ص ص39-44.

(21) أحمد عيسى، "حرب القيم"، **مجلة المجتمع**، الكويت، العدد (1714)، 2006م، ص ص20-25.

(22) جون ميلر، دوافع أمريكا النبيلة.
www. Selves and others. com

(23) محمد المختار الفال، "الساعات الأولى من الكفاح"، **مجلة الوطن**، العدد (2526)، 2007م، ص ص20-34.

(24) معجم اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، المكتبة الإسلامية، بيروت، د.ت، ص983.

(25) جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب للبناني، بيروت، 1982م، ج2، ص462.

(26) معجم اللغة العربية، مرجع سابق، مادة (على).

(27) باربر افيكتور، **الحرب الصليبية الأخيرة**، ترجمة: إحسان عمر، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2004م، ص313-314. انظر أيضاً: نبيل شبيب، "الهيمنة الأمريكية والجذور التاريخية"، **مجلة المجتمع**، الكويت، العد (1517)، 2002م، ص20.

(28) مولود عويمر، "نزعة الاستعلاء"، **مجلة المجتمع**، الكويت، العدد (1482)، 2001م، ص40.

(29) مصطفى الطحان، "الطريق إلى العصر الأمريكي، **مجلة المجتمع**، الكويت، العدد (1547)، 2003م، ص24.

(30) عوض بن محمد القرني، "الحرب الإعلامية الأمريكية ضد السعودية وسبل مواجهتها"، **مجلة المجتمع**، الكويت، العدد (1516)، 2002م، ص31.

(31) نبيل شبيب، **مرجع سابق**، ص ص20-21.

(32) عبد الرحمن حبنكة، **أجنحة المكر الثلاث**، بيروت، د. ن، د. ت، ص67.

(33) علي جريشة، **الاتجاهات الفكرية المعاصرة**، دار الوفاء المنصورة، 1986م، ص ص21-22.

(34) محمد عوض الهزايمة، **حاضر العالم الإسلامي**، دار عمان، عمان، 1997م، ص52.

(35) محمد عوض الهزايمة، **القدس في الصراع العربي الإسرائيلي**، المؤلف، عمان، 2000م، ص429.

(36) محمد عوض الهزايمة، **الإرهاب بين الحضارتين العربية الإسلامية والغربية**، بحث مقدم لمؤتمر الحوار في عالم متغير جامعة الجزائر، 2001م، ص15.

(37) سورة هود، الآية (61).

(38) مصطفى الخالدي ورفيقة، **التبشير الاستعمار في البلاد العربية**، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت، ص15.

(39) أحمد شمس الدين، **تاريخ البلاد العربية**، دار الشروق، الإسكندرية، د. ت، ص35 وما بعدها.

(40) محمود شاكر، **العالم الإسلامي ومحاولة السيطرة علية دار الكتاب الإسلامي**، بيروت، 1988م، ص135.

(41) علي جريشة ورفقا 5، **أساليب الغزو الفكري دار الوفاء**، المنصورة، د. ت، ص16.

(42) **المرجع السابق**، ص44 وما بعدها.

(43) عبد الستار سعيد، **الغزو الفكري والتيارات المعادية إلى الإسلام**، دار الأمصار، القاهرة، 1977م، ص30.

(44) نبيل دجاني، **أجهزة الإعلام الغربي وموضوع الإرهاب**، المستقبل العربي، بيروت، العدد (291)، 2003م، ص34.

(45) نور الدين العويدي، "الغرب المريض بالعنصرية يفشل في الامتحان الأخلاقي"، **مجلة المجتمع**، الكويت، العدد (1460)، 2001م، ص ص37-38.

(46) زياد أبو غنيمة، **السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية**، دار الحامد، عمان، 1984م، ص169 وما بعدها. انظر أيضاً: أحمد العرقان، "الإسلام بين الحقيقة والتشويه"، **مجلة اليرموك**، جامعة اليرموك، العدد (88)، 2005م، ص ص7-12.

(47) United States Information Agency, Wireless File, May ,(7) 1990.

(48) Amos, Perl mutter, *"Islamic Fundamentalist, Network"* ,Washington Times, January(22) , 1993.

(49) Daniel Pipes, Muslims are Coming , *"Muslims are Coming"*, National Review, November (19) , 1990.

(50) عبد القادر اهمد السرحان، **المشاكل الفكرية والنفسية التي يعاني منها المسلمين في الغرب**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية، الرباط، 1985م، ص47.

(51) محمد جمال عرفة، "بابا روما"، **مجلة المجتمع**، الكويت، العدد (1720)، 2006م، ص ص18-19.

(52) نبيل دجاني، **مرجع سابق**، ص33.

(53) إدريس الكريتي، الزعامة الأمريكية في عالم مرتبك، المستقبل العربي، العدد (291)، 2003م، ص ص12-18.

(54) باربر افيكتور، **مرجع سابق**، ص302.

(55) عبد الخالق عبدا لله، "النظام العالمي، الحقائق والأوهام"، **مجلة السياسة الدولية**، القاهرة، العدد (124)، 1996م، ص43. انظر أيضاً: أبو ضيف أحمد، الهيمنة الأمريكية نموذج القطب الواحد، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد (3)، 2003م، ص13.

(56) أحمد القاضي، **مرجع سابق**، ص14.

(57) سعيد عبد الفتاح عاشور، **الحركة الصليبية**، الأنجلو - مصرية، القاهرة، 1963م، ج2، ص1269 وما بعدها.

(58) أحمد القاضي، **مرجع سابق**، ص ص14-15.

(59) عبد الكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م، ص99.

(60) ياسين الغادي، **الثقافة الإسلامية في ثوبها المعاصر**، مؤسسة رم، مؤتة، 1994م، ص48.

(61) مصطفى الخالدي وعمر فروخ، **التبشير والاستعمار**، المطبعة العصرية، بيروت، 1986م، ص35.

(62) أحمد محمد جمال، **محاضرات في الثقافة الإسلامية**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983م، ص27.

(63) نستعيذ بالله مما يقول ونحن في هذا الشأن لا نقول إلا ما جاء في كتابه ﷻ: ﴿**لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: 285].

(64) أحمد محمد جمال، **مرجع سابق**، ص24.

(65) ياسين الغادي، **مرجع سابق**، ص68-69.

(66) سالم بمن مستهيل شماس، "العولمة والهوية الثقافية العربية الإسلامية"، **مجلة العولمة والخصوصية الثقافية**، عمان، جامعة قابوس، 1999م، ص78.

(67) ياسين الغادي، **مرجع سابق**، ص61-68.

(68) عبد الإله بلقيز، **العوامة والهوية الثقافية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م، ص316-317.

(69) محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، دانه للنشر، القاهرة، 1998م، ص57.

(70) ألان ريان، "البروفسور هيجل، ترجمة: محمد السماك"، **مجلة الاجتهاد**، السنة 4، العددان (15، 16)، 1992م، ص277.

(71) عبده مختار موسى، **الهوية الإسلامية**، جامعة جرش، عمادة البحث العلمي، 2004م، ص435.

(72) حمدي عبد الرحمن حسن، **العولمة وآثارها السياسة في النظام الإقليمي العربي**، المستقبل العربي، بيروت، العدد (285)، 2000م، ص6 وما بعدها.

(73) محمد عوض الهزايمة، **قضايا دولية معاصرة**، دار الحامد للنشر، عمان، 2005م، ص ص183-184.

(74) إن الهيمنة الأمريكية تتضح من خلال أربعة مؤشران أساسية: تقرير وضع العراق في النظام العربي بعد حرب الخليج، إنهاء الدولة المحورية في أية محاولة لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي، الانفراد بترتيبات أمنية خاصة بدول الخليج، التأثير على باقي الدول العربية الفقيرة من خلال سياسة المنح.

(75) المعهد العالي للدراسات الإستراتيجية، "الميزان العسكري في الشرق الأوسط"، **مجلة الفكر العسكري**، سوريا، 1976م، ص ص224-233.

(76) محمد عوض الهزايمة، **قضايا دولية**، مرجع سابق، ص ص117-121.

(77) راجع في هذا: فتحي عثمان، الصراع العربي – الصهيوني، القوتان العظيمتان، **مجلة المنار**، الإمارات، العدد (100)، 1985م، ص42 وما بعدها. حسن محمد حجازي محمد، العلاقات العربية مع دول الجوار الإقليمي، السياسة الدولية، القاهرة، العدد (87)، 1987م، ص38 وما بعدها. محمد كريم إبراهيم، جزر دلهوك في البحر الأحمر، **مجلة الخليج العربي**، الإمارات، البصرة، العدد (1)، 1989م، ص ص117-153.

(78) خالد السرجان، تركيا والعرب: صراعات العقد المقبل، **مجلة المنار**، الإمارات، العدد (62)، 1990م، ص16.

(79) محمد عوض الهزايمة، **قضايا دولية**، مرجع سابق، ص ص93-94.

(80) محمد سيد أحمد، "هل يتحقق الأمن للأمة العربية بالارتداد إلى النظام الشرق أوسطي"، **مجلة شؤون عربية**، بيروت، العدد (35)، 1984م، ص 148.

(81) حسنين توفيق إبراهيم، "النظام الدولي الجديد في الفكر العربي"، **مجلة عالم الفكر**، الكويت، العدد (3، 4)، 1995م، ص ص58-59.

(82) للوقوف على هذه الآراء الفكرية التي تقف وراء القوى المعادية للأمتين العربية

والإسلامية. انظر: علي جريشة، **مرجع سابق**، ص49 وما بعدها.

(83) ديفيد سكربينا، "الولايات المتحدة والتحيز لإسرائيل"، **مجلة المجتمع**، الكويت، المجلد (61)، العدد (1472)، 2001م، ص30.

(84) قاسم عبده قاسم، "البعد الثقافي للصراع العربي-الإسرائيلي"، **مجلة الوحدة**، الرباط، العدد (56)، 1989م، ص39.

(85) حسين مدادحة، **العولمة وتأثيرها على سيادة الدولة**، رسالة ماجستير (فير منشورة)، جامعة مؤتة، كلية الدراسات العليا، 2008م، ص25-27. انظر: جملة الأسباب التي ترى بالولايات المتحدة غير جديرة بقيادة العالم - بمعنى استحالة دوام النظام الأحادي-، ناصيف يوسف حتي، "أي هيكل للنظام الدولي الجديد"، **مجلة عالم الفكر**، العدد (4، 3)، 1995م، ص ص107-109.

(86) إبراهيم عبد الكريم، "إسرائيل والنظام العربي"، **مجلة الوحدة**، الرباط، العدد (56)، 1989م، ص ص21-22.

(87) للوقوف على هذه الآراء الفكرية التي تقف وراء القوى المعادية للأمتين العربية والإسلامية، انظر: علي جريشة، **مرجع سابق**، ص49 وما بعدها.

(88) محمد عوض الهزايمة، **قضايا دولية**، مرجع سابق، ص ص294-295. انظر أيضاً: حسين علوان حسين، **العولمة والثقافة العربية**، ورقة مقدمة للمؤتمر العلمي الرابع (4-9) أيار، عمان: جامعة فيلادلفيا، 1998م، ص12 وما بعدها.

(89) للوقوف على حقيقة تناقضات العولمة، انظر: علي حسين الجابري، "العرب بين سياسة الأضواء والحرب الدائمة"، **مجلة آفاق عربية**، العدد (9-10) تشرين الأول 1996م، ص16.

(90) مطاع الصفدي، "ميتافيزيقية التبعة والهوية"، **مجلة الفكر العربي المعاصر**، الكويت، العدد (17)، 1981م، ص54.

(91) صبحي محمد غندور، "الترهيب بصدام الحضارات، الترغيب بالعولمة"، **مجلة المعرفة**، الكويت، العدد (46)، 1999م، ص 29.

(92) سورة يوسف، الآية (21).